الأكاديميا في زمن
الحرب على غزّة

الإبادة الثقافيّة في قِطاع غزّة بعد السابع من أكتوبر:

المشهد الحضريّ
والحياة الثقافيّة والتعليم

منصور أبو كريّم

أيّار 2025

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

ملف الأكاديميا في زمن الحرب على غزّة (1)

الإبادة الثقافيّة في قِطاع غزّة بعد السابع من أكتوبر: المشهد الحضريّ والحياة الثقافيّة والتعليم

أيّار 2025

منصور أبو كريّم
باحث في الشؤون السياسيّة

محرّرا الملف: همّت زعبي وعلي موسى

العنوان: شارع هميچنيم، 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ملخَّص تنفيذيّ

عانى المشهد الثقافيّ والتعليميّ في قِطاع غزّة، خلال الحرب الإسرائيليّة التي اندلعت بعد السابع من أكتوبر 2023، كما عانى جميع مواطني القِطاع. وقد فقد الفلسطينيّون والعالم الكثيرَ من الرموز والمعالم الثقافيّة والحضاريّة في غزّة؛ نتيجة القصف الإسرائيليّ والاستهدافات المباشرة للبنْية الثقافيّة والتراثيّة. تركّز هذه الورقة على "الإبادة الثقافيّة"، في قِطاع غزّة خلال هذه الحرب، والتي تعرَّف بأنّها طمس وتدمير ثقافة المجموعة الإنسانيّة المستهدَفة عبْر القضاء على عناصرها الثقافيّة الأساسيّة مثل اللغة والدين والتقاليد والتعليم، دون اللجوء إلى القتل الجسديّ، سعيًا إلى طمس وجود هذه المجموعة ككيان ثقافيّ.

تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على التدمير المنهجيّ الذي تعرّضت له البنْية الثقافيّة والحضاريّة والتعليميّة في قِطاع غزّة خلال الحرب، والخسائر الكبيرة التي فقدتها الحضارة الإنسانيّة نتيجة هذا التدمير الممنهَج، وإلى توضيح أبرز المبادَرات الفلسطينيّة لحماية الموروث الحضاريّ والثقافيّ، واستكمال المسيرة التعليميّة كجزء من مناهضة سياسة الإبادة ورفض تَبِعاتها، وذلك خلال الفترة ما بين 7 تشرين الأول 2023 و30 نيسان 2025.

مقدّمة

بمرور الوقت، أخذ في التكشُّف حجمُ الإبادة الثقافيّة والتعليميّة التي قامت بها إسرائيل بحقّ المجتمع الفلسطينيّ في قِطاع غزّة؛ فقد تجاوز العدوان الإسرائيليّ كلّ الحدود، وبدا وكأنّه استهداف شامل وكامل للمجتمع الفلسطينيّ وبنيانه الاجتماعيّ والثقافيّ والفكريّ والحضاريّ والتعليميّ. فقد دمّرت آلة الحرب الإسرائيليّة معظم المعالم الحضاريّة والتاريخيّة التراثيّة والثقافيّة والتعليميّة في قِطاع غزّة؛ إذ تجاوز العدوان الاسرائيليّ العمليّات العسكريّة الأمنيّة واستهدف قِطاع غزّة تاريخًا وتراثًا وحضارةً.

يضاف ما سبق إلى الخسارة البشريّة الكبيرة نتيجة الحرب؛ إذ ارتفعت حصيلة العدوان الإسرائيليّ على غزّة منذ 7 تشرين الأول 2023 حتّى 14 نيسان 2025، إلى 50,944 شهيدًا وَ 116,156 إصابة ، كما بلغت حصيلة العدوان، منذ استئناف العدوان الإسرائيليّ في 18 آذار 2025، 1,574 شهيدًا وَ 4,115 إصابة،[1] حسب إحصائيّات وزارة الصحّة الفلسطينيّة في غزّة. إنّ حجم الخسائر الفادحة في البنْية الثقافيّة والحضاريّة والتعليميّة في قِطاع غزّة خلال الحرب لا يمكن تعويضه، ولا يقلّ أهمّيّة عن حجم الخسائر البشريّة الفادحة.

لم يكن استهداف المنظومة الثقافيّة والحضاريّة في غزّة الأوّلَ من نوعه؛ ففي السابق كذلك قامت قوّات الاحتلال الإسرائيليّ باستهداف العديد من المراكز الثقافيّة، مثل مركز سعيد المسحال الثقافيّ، ووقتذاك أدان مركز الميزان لحقوق الإنسان هذا الاستهداف واعتبر أنّه يشكّل جريمة حرب. جاء في تلك الإدانة: "يشكّل قصف مقرّ مؤسَّسة المسحال انتهاكًا لنصّ المادّة (27) من لائحة لاهاي المتعلّقة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرّيّة لعام 1907. كما أنّ الأعيان الثقافيّة محميّة بموجب البروتوكول الإضافيّ الأوّل الملحق باتّفاقيّات جنيف لعام 1977 وبموجب المبادئ الصادرة عن منظَّمة الأمم المتّحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)".[2]

1. وزارة الصحّة الفلسطينيّة [وزارة الصحّة الفلسطينيّة /غزّة]. (2025، 14 نيسان). بيان حصيلة الشهداء والجرحى اليوميّ. فيسبوك. وزارة الصحّة الفلسطينيّة.
2. مركز الميزان لحقوق الإنسان. (2018، 10 آب). مركز الميزان يستنكر تدمير مؤسَّسة سعيد المسحال للثقافة والعلوم. مركز الميزان لحقوق الإنسان.

منذ اليوم الأوّل لهذه الحرب، التي اندلعت بعد السابع من أكتوبر 2023، كانت المنظومة الثقافيّة والتعليميّة والمعالم الحضاريّة في مرمى النيران الإسرائيليّة، على نحوٍ متعمّد ومنهجيّ، وهو ما يجعلها كذلك حربًا على تاريخ غزّة وموروثها الثقافيّ والحضاريّ. فقد أعلن العديد من المسؤولين الإسرائيليّين إصرارهم على تدمير غزّة عن بكرة أبيها، كنوع من تصفية الحساب معها. من ذلك -على سبيل المثال- أنّ وزير الأمن الإسرائيليّ السابق (يوآف چالانت) أعلن عن إصرار الاحتلال على تدمير غزّة وإرجاعها خمسين سنة إلى الوراء،[3] في إشارة إلى الإصرار على تدمير كامل وشامل لمظاهر الحياة فيها، كنوع من العقاب الجماعيّ الذي جاء ردًّا على عمليّة السابع من أكتوبر 2023. وقد عبّر چالانت عن خلاصة هذا المسعى بقوله: "نحن نحارب حيوانات بشريّة". يلخّص هذا التصريح أيديولوجيّة الصهيونيّة المتطرّفة، التي لا تصادر الأراضي الفلسطينيّة فحسب، بل تُنكر على الفلسطينيّين إنسانيّتهم ذاتها، وتسعى إلى محو الإنجازات الثقافيّة التي تُثبِت وجودهم التاريخيّ على أرض فلسطين. لقد دُمِّر قِطاع غزّة مرارًا وتكرارًا -لا بنْيته التحتيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة فحسب، بل كذلك بنْيته التحتيّة الثقافيّة- بسبب سياسة احتلال طويلة الأمد.[4] فقد استُهدِف التراث الثقافيّ المعرَّف بأنّه كلّ ما ورثه الإنسان من الماضي، ويتضمّن التراث المادّيّ وغير المادّيّ، وهو مكوِّن أساسيّ للهُويّة الثقافيّة ومورد رئيسيّ للتنمية. ومنذ بدء الحرب الأخيرة على غزّة، يتعرّض التراث الثقافيّ الفلسطينيّ لأعمال تدمير واسعة، تتّخذ شكل إبادة ثقافيّة ممنهَجة شملت المواقع الأثريّة، والمباني التاريخيّة والدينيّة، والمشهد الثقافيّ، والمتاحف، والمؤسَّسات الثقافيّة والأكاديميّة، والمباني العامّة، والبنى التحتيّة.[5]

في هذا المقال، سوف نقدّم مدخلًا مفاهيميًّا للإبادة الثقافيّة، ثمّ نسلّط الضوء على الإبادة الثقافيّة في أبعادها الحضريّة وتلك الخاصّة بالحياة الثقافيّة والتعليم، التي يتعرّض لها المجتمع الفلسطينيّ في قِطاع غزّة خلال الحرب، وأهمّ المبادرات الرسميّة والمجتمعيّة لترميم المخطوطات والمكتبات العامّة وحماية الموروث الثقافيّ والحضاريّ من الضياع، ولاستكمال المسيرة التعليمية، والحدّ من تداعيات الحرب على مستوى طلبة المدارس والجامعات.

الإبادة الثقافيّة- مدخل مفاهيميّ

يركّز معظم الباحثين في الإبادة الجماعيّة على القتل الجماعيّ، لكن "لورنس داڤيدسون"، على النقيض منهم، يناقش الإبادة الثقافيّة قائلًا إنّه عندما تكون معرفة الناس محدودة عن الثقافات خارج مجموعاتهم، فإنّهم يكونون غير قادرين على التقييم الدقيق للتهديدات المزعومة من الآخرين من حولهم. طَوال التاريخ، درجت الأغلبيّة على وضع حلّ لهذه المخاوف من خلال القتل الجماعيّ، لكن الصدمة التي أحدثتها المذابح التي وقعت في العصر الحديث تمنع كثيرًا من الدول من ممارسة التصفية الجسديّة؛ ولأنّ الأكثريّات أصبحت تدرك الضغوط الخارجيّة وتعرف أنّ عليها ألّا تلجأ إلى الإبادة الجماعيّة، فقد اختارت الإبادة الثقافيّة بصفتها "البديل الأفضل" للتصفية الجسديّة.[6]

3. قناة العربيّة [قناة العربيّة Al Arabiya]. [د.ت]. **سنغيّر الواقع في غزّة لـ 50 عامًا مقبلة**. فيسبوك. قناة العربيّة.

4. Yamamoto, Kaoru. (2024). "Culture and Resistance in Palestine: Rap Music from Gaza".
In: Suzuki, Hiroyuki; & Sakai, Keiko. (Eds.). Gaza **Nakba 2023– 2024 Background, Context, Consequences**. Springer.

5. حمدان، طه. (2024)، تدمير التراث الثقافيّ في غزّة. مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

6. داڤيدسون، لورنس. (2017) **الإبادة الثقافيّة**. (ترجمة الشهابي، منار). الرياض: مكتبة العبيكان. ص. 4.

يختلف مفهوم "الإبادة الجماعيّة الثقافيّة" عن الإبادة الجماعيّة التقليديّة، تلك التي تركّز على تدمير المجموعة الجسديّ والبيولوجيّ، والتي تهدف إلى القضاء المادّيّ على مجموعة معيَّنة؛[7] إذ تتعلّق "الإبادة الثقافيّة" بتدمير الهُويّة الجماعيّة لمجموعة بشريّة عبْر القضاء على عناصرها الثقافيّة الأساسيّة (نحو: اللغة؛ الدين؛ التقاليد؛ التعليم) دون اللجوء إلى القتل الجسديّ، وتسعى من خلال ذلك إلى طمس وجود المجموعة ككيان ثقافيّ.

على الرغم من انتشار هذا المفهوم في الخطاب الحقوقيّ والسياسيّ والقانونيّ، لم يُدْرَج رسميًّا في اتّفاقيّة الإبادة الجماعيّة لعام 1948، بل لقد استُبعِد خلال المناقشات التي سبقت صياغة الاتّفاقيّة.[8] وهو موضوع مثير للجدل في القانون الدوليّ، وعلى الرغم من أهمّيّته لا تزال وضعيّته القانونيّة غير واضحة تمامًا؛ إذ لا تُعتبر الإبادة الجماعيّة الثقافيّة جريمة مستقلّة في القانون الدوليّ، لكنّها قد تندرج ضمن الجرائم الموجَّهة ضدّ الإنسانيّة، ولا سيّما جريمة الاضطهاد التي تشمل الاعتداء الجسيم على الحقوق الثقافيّة. وتُعَدّ اتّفاقيّة منع جريمة الإبادة الجماعيّة لعام 1948 المرجعَ الأساسيّ في القانون الدوليّ بشأن الإبادة الجماعيّة الثقافيّة. ويمكن اعتبار الإبادة الجماعيّة الثقافيّة، وَفْقًا لمعايير الاضطهاد، جريمةً ضدّ الإنسانيّة؛ إذ تؤدّي إلى الحرمان المتعمَّد لمجموعة دينيّة وعِرْقيّة من حقوقها الأساسيّة بسبب هُويّتها.[9] تُغطّي الجرائم الممارَسة ضدّ الإنسانيّة نطاقًا أوسع من الجرائم، إذ هي لا تشترط استهداف مجموعة محدَّدة على النحو الذي يتطلّبه تعريف الإبادة الجماعيّة.

بالرغم من أنّ الإبادة الجماعيّة الثقافيّة لم تَبْلغ مستوى القانون العرفيّ بعد،[10] يعترف إعلان الأمم المتّحدة بشأن حقوق الشعوب الأصليّة (UNDRIP) بحقّ الشعوب الأصليّة في الحماية من تدمير ثقافتها،[11] كما عرّفت المادّة (1) من اتّفاقيّة حماية التراث العالميّ الثقافيّ والطبيعيّ لسنة 1972. ويشمل التراث الثقافيّ[12] **الآثار**: الأعمال المعماريّة، وأعمال النحت والتصوير على المباني، والعناصر أو التكاوين ذات الصفة الأثريّة، والنقوش، والكهوف، ومجموعات المعالم التي لها جميعًا قيمة عالميّة استثنائيّة من وجهة نظر التاريخ، أو الفنّ، أو العلم، **والمجمّعات:** مجموعات المباني المنعزلة أو المتّصلة، التي لها -بسبب عمارتها، أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعيّ- قيمةٌ عالميّة استثنائيّة من وجهة نظر التاريخ، أو الفنّ، أو العلم، **والمواقع:** وتشمل أعمال الإنسان، أو الأعمال المشترَكة بين الإنسان والطبيعة، وكذلك المناطق بما فيها المواقع الأثريّة، التي لها قيمة عالميّة استثنائيّة من وجهة النظر التاريخيّة، أو الجماليّة، أو الإثنولوجيّة، أو الإنثربولوجيّة.

يجادل (Akhavan) بأنّ الإبادة الجماعيّة الثقافيّة، وإن لم تستوفِ شروط الإبادة الجماعيّة التقليديّة، لا تعني بالضرورة غياب المسؤوليّة القانونيّة؛ إذ يرتبط مفهوم الإبادة الجماعيّة الثقافيّة على نحوٍ خاصّ بفعل الاضطهاد، الفعل الذي يُعرَّف بأنّه "الحرمان المتعمَّد والشديد من الحقوق الأساسيّة، بما يتعارض مع القانون الدوليّ،

7. بِمُوجِب المادّة الثانية من اتّفاقيّة منع جريمة الإبادة الجماعيّة والمعاقَب عليها لعام 1948، والمادّة (6) من ميثاق روما لعام 1998، تعني الإبادة الجماعيّة أيًّا من الأفعال التالية، المرتكَبة بقصد التدمير الكلّيّ أو الجزئيّ لجماعة قوميّة أو إثنيّة أو عنصريّة أو دينيّة، بصفتها هذه:
أ) قتل أعضاء من الجماعة.
ب) إلحاق أذى جسديّ أو روحيّ خطير بأعضاء من الجماعة.
ج) إخضاع الجماعة، عمدًا، لظروف معيشيّة يراد بها تدميرها المادّيّ كلّيًّا أو جزئيًّا.
د) فرض تدابير تستهدف الحُؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.
ه) نقل أطفال من الجماعة، عنوةً، إلى جماعة أخرى.

8. Novic, Elisa. (2016). **The Concept of Cultural Genocide: An International Law Perspective**. Oxford: Oxford University Press. P. 2.

9. Johansson, Thomas. (2019). **Cultural Genocide in International Law: An Assessment**. Örebro University. P. 19.

10. المرجع السابق.

11. لمزيد من المعلومات حول إعلان الأمم المتّحدة بشأن حقوق الشعوب الأصليّة، انظروا: جامعة منيسوتا. [د. ت]. مكتبة حقوق الإنسان. جامعة منيسوتا.

12. اليونسكو. (1972، 16 تشرين الثاني). اتّفاقيّة لحماية التراث العالميّ الثقافيّ والطبيعيّ. اليونسكو.

بسبب هُويّة المجموعة المستهدَفة، فقد نصّت المادّة 7/1/)ح) من ميثاق روما لعام 1998 أنّ الاضطهاد كونه جريمة ضدّ الإنسانيّة هو "اضطهاد أيّة جماعة محدَّدة أو مجموع محدَّد من السكّان لأسباب سياسيّة أو عرقيّة أو قوميّة أو إثنيّة أو ثقافيّة أو دينيّة، أو متعلّقة بنوع الجنس على النحو المعرَّف في الفِقرة 3، أو لأسباب أخرى من المسلَّم به عالميًّا أنّ القانون الدوليّ لا يجيزها، وذلك في ما يتّصل بأيّ فعل مشار إليه في هذه الفِقْرة أو أيّة جريمة تدخل في اختصاص المحكمة".[13]

واشتمل مصطلح الإبادة الثقافيّة، منذ ابتدعه المحامي البولنديّ رالف ليمكين في عام 1944، على ممارسات غير القتل؛ إذ إنّ الإبادة الثقافيّة تتضمّن الجهود الهادفة إلى طمس ثقافة المجموعات المستهدَفة ولغتها وجوانبها الدينيّة. ولدى "لورنس داڤيدسون" تعني الإبادة الثقافيّة أن يَعْمَد مجتمعٌ ما قاصدًا إلى إضعاف وتدمير القِيَم والممارسات الثقافيّة العائدة لمجموعة لا تنتمي إليه، وقد يكون هدف الإبادة الثقافيّة إضعاف مجموعة العدوّ لثَنْيِهِ عن مقاومته، أو يكون هلاكًا حاسمًا لثقافة الجماعة المحلّيّة كجزء من نسف برنامج المقاومة الفاعلة للاحتلال.[14] وأظهر ليمكين[15] أنّ القضاء على ثقافة لا يقتصر على محو تاريخها، بل يمتدّ ليحرم الإنسانيّة من إسهامات الجماعة الثقافيّة، أي يخلّ بِسِمَة من سِمات الحضارة.[16] وبصورة أكثر شمولًا، تعني الإبادة الثقافيّة تدمير السِّمات الروحيّة، المادّيّة، الفكريّة، العاطفيّة المميِّزة لجماعة اجتماعيّة، أي إنّ الأمر لا يقتصر على الفنّ والأدب فحسب، بل يشمل كذلك أنماط الحياة، وطرق العيش المشترَك، وأنظمة القِيَم، والتقاليد، والمعتقَدات. وترى نوڤيك أليسا أنّ الإبادة الثقافيّة تعني التدمير الممنهَج للتقاليد والقِيَم واللغة وغيرها من العناصر التي تميّز جماعة من الناس عن أخرى، وبذلك قد تتعدّى الإبادةُ الثقافيّة الإبادةَ الجماعيّة إلى إبادة عِرْقيّة.[17]

اعتبرت الأمم المتّحدة أنّ الإبادة الثقافيّة في الحالة الفلسطينيّة هي التدمير المنهجيّ لفضاء التعليم والثقافة لمجتمعٍ ما، بغية محو هُويّته. يتّضح هذا التدمير باستهداف المعلّمين والطلبة والموظَّفين، ومؤسَّساتهم التعليميّة، بالإضافة إلى تدمير القِطاع الثقافيّ من خلال المكتبات والمراكز الثقافيّة والمواقع الأثريّة.[18] في سياق قِطاع غزّة، الجمع بين سياسة التجويع والقتل -لكلّ أفراد المجتمع، ولا سيّما الأطبّاء والمعلّمين والأكاديميّين- والتدمير الممنهَج للمستشفيات والمدارس والجامعات، هذا الجمع يشكّل آليّةَ إصرارٍ إسرائيليّةً على تدمير ركائز الوجود الاجتماعيّ والتكاثر (الكفاف والصحّة والتعليم) لنحوِ مليونَيْ فلسطينيّ في القِطاع، وهو ما يصبّ في هدف الإبادة الجماعيّة.[19] علاوة على ذلك، استهدف الجيش الإسرائيليّ على نحوٍ ممنهَجٍ الجامعاتِ والمدارسَ والمكتبات والمستشفيات والمساجدَ والكنائسَ- وهي أماكن يحميها القانون الإنسانيّ الدوليّ.

رأت المكتبة الوطنية الفلسطينيّة أنّ الإبادة الثقافيّة التي تتعرّض لها المنظومة الثقافيّة والحضاريّة في قِطاع غزّة تُعَدّ أحد أخطر الأبعاد للحرب الإسرائيليّة على القِطاع، "حيث تعكس إستراتيجيّة شاملة تهدف إلى محو الهُويّة الثقافيّة والتراث التاريخيّ للشعب الفلسطينيّ، وبينما تركّز معظم الحروب على تدمير البنْية التحتيّة

13. Akhavan, Payam. (2016). Cultural Genocide, Legal Label or Mourning Metaphor. **McGill Law Journal**, 64. Pp. 243- 248.

14. داڤيدسون، لورنس. مرجع رقم 6. ص. 26.

15. رافائيل ليمكين (1900-1959) محامٍ هولنديّ، واضع مصطلح الإبادة الجماعيّة ومبادرة اتّفاقيّة الإبادة الجماعيّة.

16. Facing History & Ourselves. Cultural Genocide. (2019, October 16). Facing History & Ourselves.

17. Novic, Elisa. (2016). **The concept of cultural genocide: an international law perspective**. New York: Oxford University Press.

18. United Nations. (2024, April 18). UN experts deeply concerned over 'scholasticide' in Gaza. United Nations.

19. Sultany, Nimer. (2024, May 9). A Threshold Crossed: On Genocidal Intent and the Duty to Prevent Genocide in Palestine. Journal of Genocide Research. P. 7.

وقتل الأفراد، فإنّ الإبادة الثقافيّة تسعى إلى القضاء على الذاكرة الجماعيّة والرموز الثقافيّة، ممّا يؤدّي إلى نتائج تتجاوز الأضرار الجسديّة، ويُضعِف من قدرة المجتمعات على التعافي وإعادة البناء بعد انتهاء الحرب".[20]

إبادة المشهد والتاريخ الحضريّ في قِطاع غزّة

لم تكن غزّة طارئة على التاريخ؛ فهي جزء أصيل من الجغرافيا الفلسطينيّة، وتاريخها كان دومًا مسرحًا للتفاعل الحضاريّ البشريّ المستمرّ، إذ على الدوام شكّلت غزّة مركزًا ثقافيًّا لكلّ الحضارات التي غزت المنطقة منذ أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، امتدادًا إلى اليونانيّين والإمبراطوريّتَيْن الرومانيّة والبيزنطيّة والحقبة الإسلاميّة إلى يومنا هذا، لكن الاحتلال الإسرائيليّ حاول محو ذاكرة هذا الجزء من فلسطين، عبْر عمليّة ممنهَجة لتدمير كامل وشامل للمعالم الثقافيّة والحضاريّة كافّة.[21]

لقد حاولت قوّات الاحتلال الإسرائيليّ محو ذاكرة غزّة التاريخيّة؛ إذ لقد دمّرت معظم معالمها الثقافيّة والحضاريّة. فالمواقع التراثيّة والأثريّة التي دمّرها الاحتلال الإسرائيليّ خلال هذه الحرب يعود أصول بعضها إلى العصر الفينيقيّ، وبعضها يعود أصوله إلى العصر الرومانيّ، وبعضها يعود تاريخ بنائه إلى 800 عام قبل الميلاد، وبعضها يعود تاريخ بنائها إلى 1,400 عام، وبعضها إلى 400 عام. بِذا يحاول الاحتلال أن يمحو ذاكرة المكان في محاولة منه للسيطرة على الرواية والذاكرة والتاريخ بالقصف والاستهداف المباشر.

أشار التقرير الصادر عن المركز الفلسطينيّ لحقوق الإنسان في غزّة، في 30 حزيران 2024، وحمل العنوان "الإبادة الثقافيّة"، إلى أنّ التدمير المتعمَّد والممنهَج للممتلكات الثقافيّة والتاريخيّة خلال العدوان الحربيّ الإسرائيليّ على قِطاع غزّة يهدف إلى طمس الهُويّة والتراث التاريخيّ للشعب الفلسطينيّ بوصفهم السكّان الأصليّين لهذه الأرض. ودعا المركز محكمة العدل الدوليّة إلى إدراج انتهاكات دولة الاحتلال الإسرائيليّ، المتمثّلة بالتدمير المتعمَّد للمنشآت التاريخيّة والأثريّة، ضمن نطاق متابعتها في القضيّة المطروحة حاليًّا، باعتبارها جرائم حرب تنتهك حقوق الإنسان، وجريمة إبادة جماعيّة ترمي إلى تعمُّد التدمير الكلّيّ أو الجزئيّ للفلسطينيّين من خلال طمس تراثهم التاريخيّ، ممّا يجوز تصنيفه إبادةً ثقافيّةً تجاههم.[22] وهو ما يُعَدّ جريمة دوليّة واضحة وَفقًا للقوانين الدوليّة، وخاصّة للقانون الدوليّ الإنسانيّ، ولاتّفاقيّة لاهاي لعام 1954 بشأن حماية الممتلكات الثقافيّة في حالة النزاع المسلّح والبروتوكول الثاني للاتّفاقيّة لعام 1999 الذي يحظر الاستهداف المتعمَّد في أيّ من الظروف للمواقع الثقافيّة والدينيّة.[23]

لقد عَمَدَ الجيش الإسرائيليّ إلى استهداف الكثير من المواقع الأثريّة والتاريخيّة والمقدّسات الدينيّة في القِطاع، وذلك باعتراف منظّمة "عمق شبيه" الإسرائيليّة المختصّة بشؤون الآثار، في تغريدة عبْر حساب المنظَّمة اليساريّة على منصّة (إكس)، التي قالت إنّ حرب إسرائيل على غزة أدّت إلى تدمير مئات المواقع الأثريّة والتاريخيّة داخل القِطاع.[24]

20. المكتبة الوطنيّة الفلسطينيّة [المكتبة الوطنيّة الفلسطينيّة National Library of Palestine]. (2024، 6 تشرين الأوّل). **عام على الحرب على غزّة**. فيسبوك. المكتبة الوطنيّة الفلسطينيّة.

21. سلامة، فوّاز. (2024، 4 شباط). حرب الإبادة الثقافيّة والتطهير المعرفيّ. المكتبة الوطنيّة الفلسطينيّة.

22. المركز الفلسطينيّ لحقوق الإنسان. (2024، 26 آب). في تقرير جديد أصدره المركز: الدعوة لإلزام إسرائيل بالتوقُّف عن تدمير الممتلكات الثقافيّة للشعب الفلسطينيّ. المركز الفلسطينيّ لحقوق الإنسان.

23. اليوم السابع. (2023، 31 كانون الأوّل). بلاغ إلى اليونسكو.. الاحتلال يهدم تاريخ غزّة وهُويّتها. اليوم السابع.

24. أرناؤوط، عبد الرؤوف. (2024، 22 كانون الثاني). منظّمة إسرائيليّة: الحرب دمّرت مئات المواقع الأثريّة بغزّة. الأناضول.

لم تَسلم الأماكن الأثريّة والتراثيّة من تدمير جيش الاحتلال، وطالت محاولاتُ المحو دُورَ العبادة من مساجد وكنائس وأديرة عريقة، ومواقع التراث الثقافيّ، فدمّرها كلّيًّا أو جزئيًّا أو طالَتْها أضرار جانبيّة. التالي ذكْرها هي من أبرز الأماكن والمواقع الثقافيّة والتراثيّة والحضاريّة التي استهدفها الاحتلال لمحو تاريخ غزّة الذي يربو على أربعة آلاف سنة:

- المسجد العُمَريّ الكبير

يُعَدّ المسجد العُمَريّ الكبير من أقدم المساجد وأعرقها في قِطاع غزّة. يقع في قلب غزّة القديمة في حيّ الدرج. أُنشئَ في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، ويُعَدّ ثالث أكبر مسجد في فلسطين. كان معبدًا في العصر الرومانيّ ثمّ حُوِّلَ إلى كنيسة، وبعد الفتح الإسلاميّ أصبح أكبر مساجد القِطاع. سُمِّي بالعُمَريّ نسبة للخليفة عمر بن الخطّاب، وبالكبير لأنّه أكبر مساجد القِطاع، إذ تبلغ مساحته نحو 4,100 متر مربّع، يختزن بداخله مكتبة تحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات التاريخيّة. بُنِيَ المسجد العُمَريّ من الحجر الرمليّ الكركيّ، وتُزيِّنُ فِناءَه الخارجيَّ زخارفُ وكذلك أقواسُه الدائريّةُ. يعكس بنيانه طراز الفنّ المعماريّ القديم؛ إذ تحيط به أقواس دائريّة، وتتوسّطه قباب مرتفعة، وله خمسة أبواب.[25]

الشكل (1): الأضرار التي لحقت بالمسجد العُمَريّ الكبير خلال الحرب على غزّة. قُصِف المسجد في 8 كانون الأوّل 2023. (الجزيرة نت).

يتميّز المسجد بهندسة معماريّة على الطراز البازيليكيّ يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلاديّ؛ فبعض الأعمدة المستخدَمة في البناء جُلِبت من بقايا الكنائس المهدَّمة، وتشتهر بنْيتها القويّة وأعمدتها الرخاميّة الجميلة ونقوشها وزخارفها التي تعود إلى العصرَيْن المملوكيّ والعثمانيّ. إلى الشمال من المسجد صحن تبلغ مساحته التقريبيّة 1,900 متر مربّع.[26] كذلك يتميّز بمئذنة متنوّعة الزخارف تحمل الطراز المعماريّ المملوكيّ، بُنِيَتْ على شكل مربّع في نصفها السفليّ ومثمَّن في النصف العلويّ المؤلَّف من أربعة مستويات.

تُعَدّ مكتبة المسجد من أهمّ دُور الكتب والمخطوطات في فلسطين، وتضاهي بذلك مكتبة المسجد الأقصى، ومكتبة أحمد باشا الجزّار، وغيرها من المكتبات ودُور الكتب التي احتوت على ذخائر ونفائس التراث؛ إذ كان

25. الجزيرة نت. (2024، 1 حزيران). آثار تاريخيّة دمّرها العدوان الإسرائيليّ على قِطاع غزّة. الجزيرة نت.

26. صالح، لينا. (2024، 29 شباط). إسرائيل تمحو التاريخ والجغرافيا... أبرز المعالم الأثريّة التي دمّرتها حرب غزّة. الشرق الأوسط.

فيها قبل الحرب عشرون ألف مجلّد في مختلف العلوم والفنون. لقد عملت مكتبة الجامع العُمَريّ في غزّة بوصفها مؤسَّسة ثقافيّة عامّة مفتوحة لشرائح المجتمع كافّة، لأنّها تؤدّي دَوْرًا اجتماعيًّا مُهِمًّا في نشر الثقافة وتشجيع القراءة، وذلك من خلال دَوْرها المؤثّر في فلسطين عامّة، وفي مدينة غزّة على وجه الخصوص؛ إذ احتوت على 187 مخطوطة ما بين مصنَّف كبير ورسالة صغيرة، ويعود تاريخ نسخ أقدم مخطوط إلى عام 920هـ (1515/1514).[27]

الشكل (2): جزء من الدمار الذي تعرّضت له مكتبة المسجد العُمَريّ في غزّة.
(دولة فلسطين- وزارة الثقافة).

- مسجد السيّد هاشم ومسجد الظفر دمري

يُعَدّ مسجد السيّد هاشم (نسبة إلى جدّ النبيّ محمّد) أحدَ المساجد التاريخيّة المهمّة في مدينة غزّة. تعرَّضَ للدمار على نحوٍ جزئيّ. يقع في حيّ الدرج بمساحة تُقدَّر بما يقارب 2,400 متر مربّع، وهو يُعتبَر من أجمل وأقدم مساجد غزّة.[28] يقع المسجد في قلب البلدة القديمة، حيث قبر جدّ الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)، هاشم بن عبد مناف الذي ارتبط باسم مدينة غزّة (غزّة هاشم).[29] شُيِّدَ المسجد الحاليّ في العصر العثمانيّ على الطراز المعماريّ المملوكيّ. يكشف القسم (المخطَّط) الأفقيّ من المسجد عن صحن مفتوح مربَّع الشكل في المنتصف، تحيط به ثلاثة أَرْوِقة خارجيّة للصلاة.[30] قاعة الصلاة الرئيسيّة في هذا المسجد مربّعة الشكل تقريبًا ومغطّاة بأقبية متقاطعة. يحتوي المسجد على محراب موجَّه نحو القِبلة ومنبر جرى تجديده عام 1850 برعاية السلطان العثمانيّ عبد المجيد.[31]

كذلك تعرّض **مسجد الظفر دمري** الأثريّ إلى تدمير كلّيّ نتيجة القصف الإسرائيليّ، وهو يعود إلى الحقبة المملوكيّة. أسّسه الأمير المملوكيّ، شهاب الدين أحمد بن أزفير الظفر دمري، في القرن الثامن الهجريّ، وعلى

27. عبد الرحمن، مصطفى. (2024، 26 آذار). مكتبة الجامع العُمَريّ بغزّة وعاء الذاكرة الفلسطينيّة. ماذا فعل بها الاحتلال. عربيّ 21.
28. المسار الإخباريّ. (2024، 1 آذار). إسرائيل تمحو التاريخ والجغرافيا... أبرز المعالم الأثريّة التي دمّرتها حرب غزّة. المسار الإخباريّ.
29. وفا. (2023، 7 كانون الأوّل). في استهداف للموروث الثقافيّ: الاحتلال يقصف مسجدًا أثريًّا وسط مدينة غزّة. وفا.
30. المسار الإخباريّ. مرجع رقم 28.
31. المركز الفلسطينيّ للإعلام. (2024، 29 آب). سحق الهُويّة التاريخيّة لغزّة.. إرهاب دولة نشأت على الإحْلال التاريخيّ. المركز الفلسطينيّ للإعلام.

وجه التحديد عام 762هـ (1361/1360). هذا المسجد، الذي تبلغ مساحته 600 متر مربع، اشتهر باسم "القزدمري" لدى عامّة الناس، وفيه قبر شهاب الدين الظفر دمري.[32]

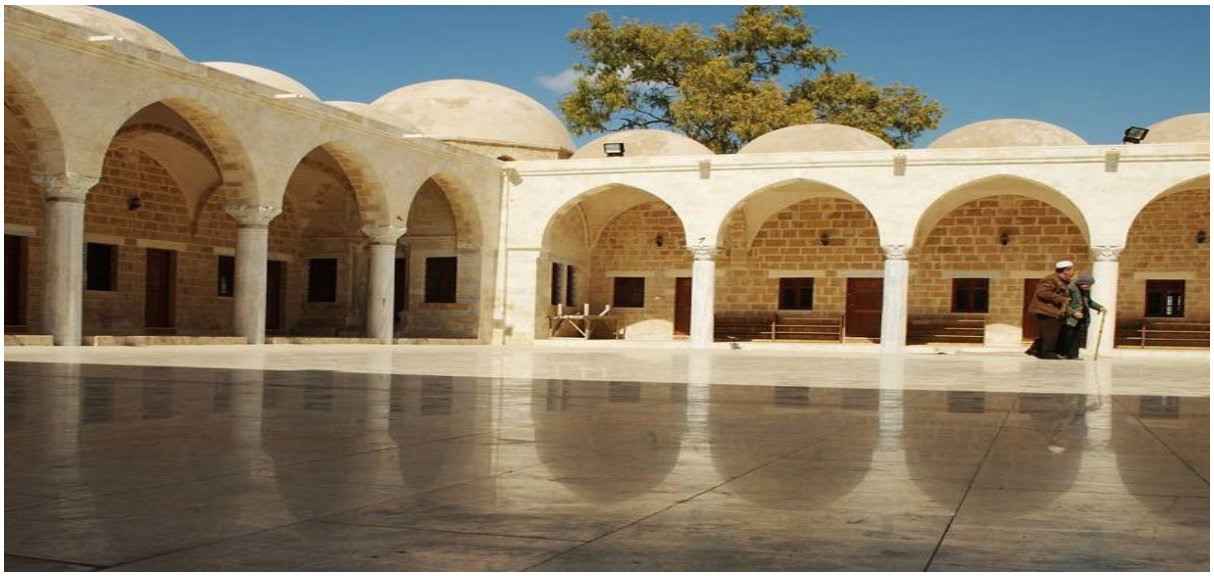

الشكل (3): مسجد السيّد هاشم في غزّة قبل التدمير.
(عربي بوست).

- كنيسة القديس برفيريوس

تقع **كنيسة القديس برفيريوس** في حيّ الزيتون شرق مدينة غزّة، وتُعَدّ ثالث أقدم كنائس العالم. بُنِيَتْ بدايةَ القرن الخامس الميلاديّ، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة للقدّيس برفيريوس الذي نشر الديانة المسيحيّة في قِطاع غزّة.[33] تتبع كنيسة برفيريوس المذهب الأرثوذكسيّ الشرقيّ، وتُعْرَف بكنيسة الروم الأرثوذكس. أُسِّست عام 425، بمسعى من الأب برفيريوس، على مساحة 216 متر مربع في حيّ الزيتون أقدم أحياء قِطاع غزّة، وبُنِيتْ بطريقة معماريّة تُعانِق فيها جامعَ كاتب ولاية الأثري، فلا يفصل بينهما إلّا جدار مشترك. استغرق بناؤها خمس سنوات (402- 407). سُمِّيتْ بكنيسة أفظوكسيياني نسبة إلى الإمبراطورة أفظوكسيا،[34] وبعد موت القدّيس البارّ سُمِّيتْ باسْم كنيسة القدّيس برفيريوس، الذي وُلِد عام 347 في مدينة سالونيك في اليونان وتُوُفّي عام 420، ودُفِن في الكنيسة لتُعْرَف أيضًا بكنيسة المقبرة.[35]

بُنِيَت الكنيسة على الطراز البيزنطيّ، وتُزيِّن جدرانَها وسقفَها المقبَّبَ المرفوعَ على أعمدة رخاميّة صورٌ ورسوماتٌ لشخصيّات مسيحيّة كان لها أثر مهمّ في التاريخ (كالملكة هيلانة -على سبيل المثال)، بالإضافة إلى نقوش وتراتيل تروي محاربةَ القدّيس برفيريوس للوثنيّين في غزّة، ونشرَهُ الديانة المسيحيّة في قِطاع غزّة بأوامر من الإمبراطوريّة البيزنطيّة.[36]

32. يعقوب، أوس. (2024، 4 شباط). غزّة... إنّها حرب "إبادة ثقافيّة" أيضًا. ضفّة ثالثة.
33. أبو كريّم، منصور؛ وَشمالي، إلهام. (2024). **المجتمع المسيحيّ الفلسطينيّ في قِطاع غزّة**. غزّة: مركز فينيق للأبحاث والدراسات الحقليّة. ص. 49.
34. الجدبة، فوزي. (2016). **الخدمات الدينيّة في محافظة غزّة، دراسة في جغرافيا الخدمات**. [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة]. ص. 71.
35. المبيّض، سليم (مُحقِّق). (2004). **حياة القدّيس برفيريوس، أسقف غزّة 345- 420م**. (ترجمة: صرّوف، وهبة). غزّة: الهيئة العامّة المصريّة للكتاب. ص. 43.
36. الجزيرة نت. مرجع رقم 25.

الشكل (4): الأضرار التي لحقت بكنيسة القديس برفيريوس نتيجة القصف الإسرائيليّ في 19 تشرين الأوّل 2023. (نون بوست).

تعرّضت الكنيسة، في 19 تشرين الأوّل 2023، لقصف طائرات الاحتلال الإسرائيليّ خلال العدوان على قِطاع غزّة، وهو ما أدّى إلى أضرار جسيمة لقاعاتها.[37] خلّف القصف الإسرائيليّ أضرارًا جسيمة بأحد المباني الأربعة في مجمَّعها، ممّا أدّى إلى انهيار سقفها وترك العشرات محاصَرين تحت ألواح خرسانيّة، وقالت البطريركيّة الأرثوذكسيّة في القدس إنّه تأكَّدَ مقتل ثمانية عشر شخصًا على الأقلّ، بينهم أطفال ونساء.[38] وصبيحة اليوم التالي ترأّسَ المطران إلكسيوس، مطران كنيسة الروم الأرثوذكس في غزّة، صلاة الجنازة بحضور عشرات الفلسطينيّين، وكانت الكنيسة تضمّ مئات النازحين المسيحيّين والمسلمين الذين نزحوا من بيوتهم واحتمَوْا بالكنيسة جرّاء الحرب الإسرائيليّة.

- حمّام السمرة

يقع حمّام السمرة في حيّ الزيتون في قلب مدينة غزّة التاريخيّة. يُعَدّ ثاني أقدم المعالم الحضاريّة بعد المسجد العُمَريّ، وهو الوحيد المتبقّي من الحمّامات التاريخيّة في قِطاع غزّة. أُنشِئَ في العهد العثمانيّ على مساحة 500 متر مربّع، ثمّ أُعيدَ ترميمه وتجديده في العصر المملوكيّ، على عهد الملك سنجر بن عبد الله المؤيّدي. سُمِّيَ بهذا الاسم نسبة للسامريّين الذين عملوا فيه فترة من الزمن.[39]

37. المرجع السابق.

38. الجزيرة نت. (2023، 21 تشرين الأوّل). استهداف أقدم كنيسة بغزّة.. عندما لا يميّز القصف بين البشر والحجر. الجزيرة نت.

39. صالح، لينا. مرجع رقم 26.

الشكل (5): حمّام السمرة قبل التدمير بالقصف الإسرائيليّ.
(الجزيرة نت).

يُعَدّ حمّام السمرة مزارًا طبّيًّا وسياحيًّا؛ إذ تتميّز أرضيّته بدفئها على مدار اليوم، وقد استُخدِم في بنائها الحجر الرخاميّ؛ لمقاومته رطوبة الماء. يتميّز الحمّام بروعة التخطيط والبناء العمرانيّ الذي يتجسّد بتدرُّج درجات الحرارة عند الانتقال من غرفة إلى أخرى.[40]

- بيت السقّا الأثريّ

بيت السقّا أو قصر السقّا الأثريّ هو بيت أثريّ في حيّ الشجاعيّة وسطَ السوق في الضاحية الشرقيّة لمدينة غزّة، بُنِيَ عام 1661 في عهد السلطان محمّد الرابع بن السلطان إبراهيم. بناه أحمد السقّا أحد كبار التجّار آنذاك.[41]

الشكل (6): بيت السقّا الأثريّ في غزّة الذي دُمّر في 10 تشرين الثاني 2023.
(شبكة نوى).

40. المسار الإخباريّ. مرجع رقم 28.

41. الإبادة الجماعيّة في غزّة. [د.ت]. معلومات عن بيت السقّا– غزّة. الإبادة الجماعيّة في غزّة.

يتكوّن بيت السقّا، الذي تبلغ مساحته 700 متر مربّع، من ساحة مرصوفة ببلاط رخاميّ جُلِب من جبال وسط فلسطين، وعلامات تدلّ على وجود بئر، وباب رئيسيّ طوله متران يأخذ شكل زاوية قائمة وهو معتمٌ حفاظًا على خصوصيّة أهل البيت، وإيوان لاستقبال الضيوف، وغرف المعيشة، إضافة إلى المطبخ والحمّام. وكان يجتمع في البيت قبل قرون كبار التجّار وأهل الاقتصاد، وكان يُستخدم قاعةً للمناسبات العامّة.[42] يتميّز البيت بحجارته الرخاميّة وأعمدته الرومانيّة، وبقبابه المقوَّسة التي تتدلّى منها الثريّات ذات الطابع الأثريّ القديم؛ فقد استُخدِم في بنائه الحجر الرمليّ والمقدسيّ، وحجر الكركار. يحتوي سقفه على رمل محشوّ بالفخّار، وهو ما يجعله باردًا في الصيف ودافئًا في الشتاء.[43] عُرِف البيت بأنّه أوّل منتدى اقتصاديّ في فلسطين؛ إذ كان يُعَدّ ملتقى لتجّار غزّة آنذاك.

تمّ ترميم بيت السقا في أكثر من مناسبة للمحافظة على هيئته الأصلية كموروث ثقافي ورُمِّم أوّل مرّة على أثر تعرُّضه لقذيفة خلال حرب عام 1948. سُجّل البيت كموقع أثري في وزارة السياحة والآثار الفلسطينية بعد تأسيس السلطة الفلسطينية عام 1994. وسعيًا لحمايته من الاندثار والتلف بفعل عوامل الزمن والبيئة أتاحه آل السقّا، مالكو البيت، عام 2014 لمركز "إيوان" لمدّة 10 سنوات؛ إيمانًا منهم بدور بيتهم في تعزيز الهويّة الثقافية الفلسطينية. لا سيّما أنّ "إيوان" هو مركز متخصّص بترميم وإصلاح الأضرار التي تتعرّض لها المباني الأثريّة في قطاع غزّة، تحت إشراف مجموعة من المهندسين والفنيين وخبراء الآثار الفلسطينيين.[44] خلال حرب الإبادة، دُمّر البيت في 10 تشرين الثاني 2023 خلال قصف الطيران الإسرائيليّ على حيّ الشجاعيّة في مدينة غزّة.[45]

- مَقام الخَضر

يقع هذا المقام في وسط مدينة دير البلح، وفيه مُصَلًّى صغير ومحراب وساحة وثلاث قباب، يتّصل بعشر درجات بقبو أسفله، وفيه دير القدّيس هيلاريون (278- 372) الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلاديّ. تدلّ الدراسات أنّ خطّة مبنى مقام الخضر تُظهِر وجود عناقيد مصلّبة تذكّر بفنّ العمارة الصليبيّ، وكذلك في المكان نفسه بعضُ النقوش اليونانيّة والتيجان الكورنثيّة والأعمدة الرخاميّة؛ الأمر الذي يؤكّد بناء مقام الخضر فوق الدير الصليبيّ، بينما تقول الروايات الأخرى إنّ اسم المقام منسوب إلى القدّيس "جورجس"- ويقابل هذا الاسمَ في العربيّة: "الخضر".[46]

42. صالح، لينا. مرجع رقم 26.
43. الجزيرة نت. مرجع رقم 25.
44. مبارك، أماني. (2023، 7 كانون الأول). قصّة بيت السقا الأثري بغزة، عربي بوست.
45. الإبادة الجماعيّة في غزّة. مرجع رقم 41.
46. صالح، لينا. مرجع رقم 26.

الشكل (7): مقام الخضر من الداخل.
(فسحة- ثقافية فلسطينية).

يعُد مقام الخضر أحد أهم المباني الأثرية الواقعة في مدينة دير البلح. تبلغ مساحته 450 متر مربع ويتكون من طابقين. كانت وزارة السياحة والآثار بغزة قد وقعت اتفاقية تعاون مع جمعية نوى للثقافة والفنون لترميم وتأهيل المقام عام 2015، وبموجب هذه الاتفاقية تم العمل على ترميمه وتأهيله ترميمًا شاملًا وإعادة استخدامه كمكتبة للأطفال بحيث يتم الحفاظ على طابعه وشكله الأثري.[47] حسب تقرير وزارة الثقافة الفلسطينية في رام الله تضرر المقام نتيجة القصف الإسرائيلي للمباني المحيط به خلال الحرب الإسرائيلي على قطاع غزة بعد السابع من أكتوبر 2023.[48]

- قصر الباشا

يُعدّ أحد معالم العِمارة الإسلاميّة. تعرَّضَ للدمار خلال الحرب. يقع في حيّ الدرج في الجهة الشرقيّة من البلدة القديمة، ويُعَدّ (الدرج) من أغنى الأحياء بالمباني التاريخيّة، ويسلّط الضوء على تاريخ غزّة الغنيّ على مرّ العصور. لا وجود للوحة تأسيسيّة تؤرّخ تشييد هذا المبنى، لكن يقال إنّها تعود إلى العِمارة الإسلاميّة المملوكيّة، كما يدلّ على ذلك وجود شعار الأسد عند المدخل الرئيسيّ للقصر.[49]

47. الرأي. (2015، 5 نيسان)."السياحة والآثار" توقع اتفاقية لترميم مقام الخضر بدير البلح. الرأي.
48. وزارة الثقافة الفلسطينية. (2024). **التقرير الأوّليّ الرابع حول أضرار القِطاع الثقافيّ**. غزّة: وزارة الثقافة الفلسطينية. ص. 60.
49. المسار الإخباريّ. مرجع رقم 28.

الشكل (8): فِناء قصر الباشا من الداخل، حين كان يُعَدّ تحفة معماريّة فريدة.
(آفاق البيئة والتنمية).

القصر مكوَّن من طبقتَيْن، ويعود تاريخ بنائه إلى العصر المملوكيّ. كان يضمّ مُتحفًا فيه مئات القطع الأثريّة والنواويس البيزنطيّة التي وصفها الآثاريّ الفرنسيّ جان باتيست أومبير، من المدرسة الفرنسيّة للكتاب المقدَّس والآثار في القدس (إيباف) بقوله: "إنّها أفضل اكتشافاتنا".[50]

الشكل (9): قصر الباشا بعد التدمير الإسرائيليّ الذي تعرّض له على مرحلتَيْن.
(شبكة نوى).

50. خلف، تيسير. (2024، 23 أيّار). آثار غزّة في دائرة التدمير والمساومات. المجلّة.

لقد حوّلت آلة الحرب الإسرائيليّة تاريخ المبنى الممتدّ منذ 900 عام إلى رُكام. قالت مديرة متحف قصر الباشا، نرمين خلّة، إنّ قوّات الاحتلال استهدفت القصر على مرحلتَيْن؛ الأولى كانت عبْرَ تجريفه جزئيًّا في كانون الأوّل 2023، والثانية هدمه كلّيًّا في كانون الثاني 2024.[51]

- سوق قيثارية للذهب

دمّر الاحتلال الإسرائيليّ خلال عدوانه العديد من الأسواق التراثيّة. من هذه الأسواق سوق الذهب التاريخيّة (المعروفة بسوق قيثاريّة) في البلدة القديمة بمدينة غزّة، والتي يربو عمرها على 1,500 سنة.

الشكل (10): سوق قيثارية للذهب في قلب غزّة التي دُمِّرت في 4 تمّوز 2024.
(صفحة سوق الذهب- غزة، فيسبوك).

يعود تاريخ إنشاء السوق للعصر المملوكيّ عندما فُتِح المدخل الجنوبيّ لمُصلَّى الجامع العُمَريّ. أُنشِئَ في عهد السلطان المملوكيّ الناصر (محمّد بن قلاوون) بواسطة الأمير "تنكز الناصري"، وذلك في شهر محرّم عام 730هـ (1329). تقع السوق ملاصقةً للجدار الجنوبيّ للمسجد العُمَريّ "الكبير".[52]

تُعَدّ "القيثاريّات" أحد أشكال المنشآت التجاريّة الحِرفيّة الصناعيّة، التي ذاع صيتها في العهد الرومانيّ، تحديدًا في حقبة القيصر الرومانيّ أغسطس قيصر، الذي توسّعت في عهده تجارة الحرير الطبيعيّ الآتية من الصين عبْر طريق الحرير، التي أقيمت في عهد سلالة "هان" الصينيّة، وكانت تربط مناطق العالَم القديم تجاريًّا منذ عام 130 ق.م حتّى عام 1453، عندما أنهت الإمبراطوريّة العثمانيّة التجارة مع الغرب وأغلقت الطرق، وقد كانت غزّة تقع على شبكة طريق الحرير التجاريّة القديمة، ممّا أهّلها لأن تكون من المدن الرائدة في تجارة الذهب.[53]

51. وكالة سند الإخباريّة. (2025، 16 شباط). قصر الباشا.. آلة الحرب الإسرائيليّة تُحوّل 900 عام من التاريخ لركام. وكالة سند الإخباريّة.
52. الشامي، عبد الغني. (2024، 5 تمّوز). استكمالًا لطمس معالم غزّة وتراثها... الاحتلال يدمّر سوق قيثارية التاريخيّ. قدس برس.
53. مبارك، أماني. (2023، 24 كانون الأوّل). سوق القيسارية بغزّة الذي دمّره الاحتلال. عربي بوست.

وتمثّلُ سوقُ قيثارية نمطًا معماريًّا وهندسيًّا يلائم الأجواء وظروف المُناخ، وتقع ملاصقة للجدار الجنوبيّ للمسجد العُمَريّ، وهي عبارة عن ممرّ ضيّق طوله 60 مترًا، مغطّى بالقباب المدبَّبة، ولا يزيد عرضه عن 3 أمتار على جانبيه قرابة 38 حانوتًا ومتجرًا لبيع الذهب حاليًّا؛ يبلغ عرض الحانوت على الشارع نحو مترَيْن، وهو ذو سقف معقود بعقود متقاطعة، ويصل عمق الحانوت الواحد إلى نحو 2.7 مترًا.[54]

في 4 حزيران 2024، دمّرت طائرات الاحتلال سوق قيثارية التاريخي، بعد إطلاق صاروخ تجاهه بحسب ما أفاد أهالي المنطقة.[55]

إضافة إلى ما سبق، طال التدمير **موقع البلاخية** الأثريّ، وهو ميناء غزّة القديم في شمال غرب المدينة، ويُعَدّ من أهمّ المواقع الأثريّة في المدينة، وقد كان مُدْرَجًا على اللائحة التمهيديّة للتراث العالميّ، ولائحة التراث الإسلاميّ.[56] كذلك تعرّضت **قلعة برقوق** للتدمير نتيجة القصف الإسرائيليّ. تقع قلعة برقوق (أو خان الأمير يونس) في وسط محافظة خان يونس جنوب قِطاع غزّة، وقد شيّدها الأمير يونس بن عبد الله النورزي الداودار سنة 1387، بطلب من السلطان الظاهر برقوق أحد سلاطين العصر المملوكيّ. وكان الهدف من إنشاء الخان هو خدمة القوافل التجاريّة، وأن يَكون محطّةً من محطّات البريد. في 18 نيسان 2024، تحوّلت قلعة برقوق الأثريّة إلى ركام جرّاء القصف الإسرائيليّ والاجتياح البرّيّ لمدينة خان يونس.[57]

الشكل (11): قلعة برقوق في وسط مدينة خان يونس قبل التدمير الإسرائيليّ. (ويكيبيديا).

54. عبد الرحمن، مصطفى. (2020، 31 كانون الأوّل). "سوق القيسارية"... آخر أسواق العهد المملوكيّ في غزّة. عربيّ21.
55. الشامي، عبد الغني. مرجع رقم 52.
56. قصّة غزّة. (2024، 1 كانون الثاني). تدمير موقع البلاخية الأثريّ (ميناء الأنثيدون). قصّة غزّة.
57. مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة. [د. ت]. توثيق حرب الإبادة- قلعة برقوق. مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

وفي ما يخصّ استهداف القلعة، قالت بلديّة خان يونس: "قلعة برقوق في قلب مدينة خان يونس جنوبيّ قِطاع غزّة التي شُيِّدت في القرن الرابع عشر تعرّضت لدمار واسع خلال الحرب الإسرائيليّة على قِطاع غزّة، في محاولة يائسة من الاحتلال الإسرائيليّ لمحو الذاكرة الفلسطينيّة وتدمير الآثار التاريخيّة للشعب الفلسطينيّ، ورغم تعرُّض أجزاء كبيرة من القلعة للدمار جرّاء القصف الإسرائيليّ إلّا أنّها تبقى شاهدة على إرثنا التاريخيّ والثقافيّ وحقّنا في أرضنا التي خُضِّبت بدماء الشهداء والجرحى وآهات الثكالى وتضحيات الأسرى".[58]

في ذكرى مرور عام على حرب الإبادة الجماعيّة، أكّدت المكتبة الوطنيّة في رام الله عبْر بيان لها ما يلي: "حرب الإبادة الجماعيّة في غزّة أصبحت تتجلّى في مجموعة من الممارسات التي قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيليّ خلال الحرب والتي هدفت إلى محاولة محو ممنهَج للذاكرة الفلسطينيّة التاريخيّة عن طريق تدمير المواقع الأثريّة والمعرفيّة والممتلكات الثقافيّة والتراث المادّيّ وغير المادّيّ، واستهداف الآثار الملموسة والوثائق والمخطوطات والكتب وجميع أشكال الإنتاج الثقافيّ، إلى جانب قتل الكفاءات الأكاديميّة والعلميّة والفنّيّة وذوي الخبرات الثقافيّة".[59]

ممّا سقناه آنفًا، من الواضح أنّ الأضرار الناتجة عن هذا العدوان الممنهَج لا تقتصر على الحجر والبناء فحسب، بل تمتدّ لتشمل الهُويّة والتاريخ الفلسطينيَّيْن. فقد دمّرت الحرب التي يشنّها الاحتلال الإسرائيليّ العديدَ من المباني التاريخيّة والتراثيّة، وأدّت إلى خسائر جسيمة في الموروث الحضاريّ للشعب الفلسطينيّ في غزّة؛ إذ فقدت المدن الفلسطينيّة في قِطاع غزّة العديد من المساجد والبيوت والمعالم الثقافيّة والتراثيّة، وهو ما يجعل الحرب على غزّة في جَوْرها حربًا على الهُويّة والتراث والحضارة معًا.

إبادة الحياة الثقافيّة في غزّة

يصبّ هذا الدمار، المادّيّ والرمزيّ على حدّ سواء، في مصلحة أَجِنْدة سياسيّة أوسع نطاقًا تتمثّل في طمس الهُويّة الفلسطينيّة والذاكرة الجماعيّة، وهو ما قد يندرج في إطار الإبادة الثقافيّة. وفي جانبٍ مهمّ، غالبًا ما تُدرَس الإبادة الثقافيّة باعتبارها أحد مكوِّنات الإطار الأوسع للإبادة الجماعيّة، في حين أنّه يمكن فهم الإبادة الثقافيّة على أنّها إبادة قائمة بذاتها، يجب النظر إليها أيضًا بوصفها جزءًا من هذه العمليّة الأوسع نطاقًا، فالقضاء على المظاهر الثقافيّة والأدبيّة الغنيّة في غزّة هو في حدّ ذاته عملٌ من أعمال التجريد من الإنسانيّة، ومرحلة أساسيّة في الإبادة الجماعيّة.[60]

في حرب الإبادة الجماعيّة التي تشنّها إسرائيل على قِطاع غزّة منذ السابع من أكتوبر 2023، عَمَدَ جيش الاحتلال إلى جعل القِطاع غير صالح للحياة، وإلى محو تاريخه الحضاريّ والثقافيّ كذلك، حيث رافقتْ آلةَ القتل وفِرَقَ الموت فِرَقُ نهبٍ وسلب، بعضها يتخصّص في تدمير المعالم الأثريّة والتاريخيّة والمساجد والكنائس، وبعضها بسرقة محتوياتها، ومحتويات المتاحف والمجموعات الخاصّة، والكتب والمخطوطات والمشغولات المعدنيّة والحجريّة واللوحات الفنّيّة وغيرها من النفائس والقِطَع الأثريّة، ومقتنَيات الغزّيّين النفيسة والنادرة ومكتباتهم الخاصّة، وبعضها يتخصّص بملاحقة المثقّفين والكتّاب والشعراء والعلماء من مختلِف التخصّصات قتلًا وتشريدًا.[61]

58. بلديّة خان يونس [بلديّة خان يونس]. (2024، 23 تشرين الثاني). **تدمير قلعة برقوق في مدينة خان يونس خلال الحرب الإسرائيليّة على قِطاع غزّة**. فيسبوك. بلديّة خان يونس.

59. المكتبة الوطنيّة الفلسطينيّة. مرجع رقم 20.

60. شاه، مريم. (2024، 8 شباط). الحبر المتلاشي: الثقافة الفلسطينيّة مهدَّدة في غزّة. صدى.

61. يعقوب، أوس. مرجع رقم 32.

وفي تقييم أوّليّ وثّقت منظّمة اليونسكو باستخدام الأقمار الصناعيّة أنّ أضرارًا لحقت واحدًا وأربعين (41) مركزًا ثقافيًّا في قِطاع غزّة، موزّعة بين ثمانية وثلاثين (38) مركزًا في مدينة غزّة، من بينها تسعة وعشرون (29) موقعًا تاريخيًّا، وعشرة (10) مواقع دينيّة، وثلاثة (3) أنصاب تذكاريّة، ومستودعان للمقتنيات الثقافيّة، وثلاثة (3) مواقع أثريّة.[62]

وأصدرت وزارة الثقافة تقريرها الشهريّ الرابع حول أضرار القِطاع الثقافيّ نتيجة العدوان على قِطاع غزّة في ما يخصّ الفترة الممتدّة من 7 تشرين الأوّل 2023 حتّى 11 تشرين الثاني 2024. وجاء في التقرير أنّ أربعة وأربعين (44) كاتبًا وفنّانًا وناشطًا في حقل الثقافة قد استُشهِدوا خلال أشهر الحرب الأربعة الأولى، إلى جانب تضرُّر اثنتين وثلاثين (32) مؤسَّسة ومركزًا ومسرحًا، إمّا على نحوٍ جزئيّ أو كامل، وشملت الأضرار أيضًا تضرُّر اثنَيْ عشر (12) مُتحفًا وتضرُّر ألفَيْن ومئةِ (2,100) ثوبٍ قديم وقطعة تطريز من المقتنيات التي في المتاحف أو ضمن المجموعات الشخصيّة، وتضرّرت تسعُ (9) مكتباتٍ عامّة وثماني (8) دُور نشر ومطابع. وذكرت الوزارة أنّ قرابة مئة وخمسة وتسعين (195) مبنى تاريخيًّا يقع أغلبها في مدينة غزّة هُدِمت على نحوٍ جزئيّ أو كامل، ومن بينها ما يُستخدم مراكزَ ثقافيّةً ومؤسَّساتٍ مجتمعيّةً، فضلًا عن تضرُّر تسعةِ (9) مواقعَ تراثيّةٍ وعَشَرةِ (10) مساجد وكنائس تاريخيّة تُشكِّلُ جزءًا من ذاكرة القِطاع.[63]

وأعلنت وزارة الثقافة الفلسطينيّة أنّ الاحتلال الإسرائيليّ دمّر **مبنى "سيباط" العَلَمي** في غزّة، الذي أُنشِئَ عام 1806، وهو يتكوّن من ثلاث غرف وإيوانَيْن ومطبخ ودرجَيْن يؤدّيان إلى الدور الثاني وغرفة السيباط، ورُمِّمَ عام 2009 وحُوِّلَ إلى "مركز رياض العلميّ للتراث والثقافة".[64]

الشكل (12): مبنى "سيباط" العلَمَي الذي دُمِّر على نحوٍ كامل نتيجة الحرب على غزّة. (اليوم السابع).

62. المركز الفلسطينيّ لحقوق الإنسان. (2024). **تقرير الإبادة الثقافيّة**. غزّة: المركز الفلسطينيّ لحقوق الإنسان. ص. 5.

63. وزارة الثقافة. (2024). **التقرير الأوّليّ الرابع حول أضرار القِطاع الثقافيّ**. غزّة: وزارة الثقافة.

64. وزارة الثقافة الفلسطينيّة [وزارة الثقافة الفلسطينيّة The Palestinian Ministry of Culture]. (2023، 29 كانون الأوّل). **دمَّر الاحتلال الإسرائيليّ مبنى سيباط العَلَمي في غزّة**. فيسبوك. وزارة الثقافة الفلسطينيّة.

كذلك دمّر الاحتلال **مقرّ مركز التخطيط الفلسطينيّ**، التابع لمنظَّمة التحرير الفلسطينيّة الذي كان يحتوي على مكتبة وأرشيف الثورة الفلسطينيّة، من وثائق ومخطَّطات، وكُتُب ومجلّات نادرة. تأسّس المركز عام 1968 كمركز تابع لرئيس اللجنة التنفيذيّة لمنظَّمة التحرير الفلسطينيّة، ودُمِّر في بيروت خلال الاجتياح الإسرائيليّ للمدينة عام 1982، ثمّ أُعيدَ تأسيسُه في تونس عام 1985، ونُقِل لاحقًا إلى مدينة غزّة ليَكون مقرًّا رئيسيًّا.[65]

ودمّرت قوّات الاحتلال **أرشيف بلديّة غزّة**، الذي يعود تاريخ إنشائه إلى أواخر القرن التاسع عشر، عام 1887 على الأرجح،[66] وكذلك جرى تدمير **أرشيف سلطة الأراضي– الطابو**، وهو من أهمّ الأرشيفات في غزّة لاحتوائه على وثائق وكواشين الملْكيّة وما يتعلّق بالحقوق والأراضي والممتلكات، بالإضافة إلى **أرشيف المجلس الأعلى للقضاء**، **وسِجِلّات المحاكم الشرعيّة**، **وأرشيف دائرة المخطوطات والآثار** في وزارة الأوقاف. في هذه الدائرة مئتان وثماني (208) مخطوطات كاملة، وتسع وستّون (69) مخطوطة غير مكتملة.[67]

ومن المباني الأخرى التي تعرّضت لأضرار بالغة نتيجة القصف الإسرائيليّ المتواصل على غزّة: مقرّ **"الاتّحاد العامّ للفنّانين الفلسطينيّين"**، ومبنى **"جمعيّة الشبّان المسيحيّة"**، وَ **"مؤسّسة أيّام المسرح"**، وَ **"مركز رشاد الشوّا الثقافيّ"** (أحد أبرز المراكز الثقافيّة في غزّة)،[68] وذلك من ضمن أكثر من مئتَي مَعْلَم أثريّ وتاريخيّ ومؤسّسة ثقافيّة في القِطاع جرى استهدافها.

ومن المتاحف ومَقارّ المراكز والمؤسّسات والجمعيّات الثقافيّة والفنّيّة ودُور النشر والمكتبات التي تعرّضت، وما تزال، للقصف والتدمير **المتحفُ الوطنيّ** (وكان يضمّ أكثر من ثلاثة آلاف قطعة أثريّة نادرة، وقد سرق جنود الاحتلال تلك الآثار)،[69] **ومُتحَف رفح** المخصَّص للتراث الفلسطينيّ القديم، **والقرارة الثقافيّ**، و**العقّاد** في خان يونس، **وشهوان**، **والخضري**، **وأبو شعر**، **والمكتبة العامّة** التابعة لبلديّة غزّة، **ومكتبة ديانا ماري صبّاغ** التابعة لمركز رشاد الشوّا الثقافيّ، **والمركز الثقافيّ الاجتماعيّ الأرثوذكسيّ العربيّ** في حيّ تلّ الهوا، **وهيئة دار الشباب للثقافة والتنمية**، **وجمعيّة "أبناؤنا" للتنمية**، **وجمعيّة ميلاد**، **وجمعيّة حكاوي للمسرح**، **ومؤسّسة السنونو للفنون والثقافة**، **ومركز غزّة للثقافة والفنون**، **ومكتبة مركز الثقافة والنور**، **وقرية الفنون والحِرَف**، **ومسرح الوداد**، **وغاليري "التقاء" للفنون البصَريّة المعاصرة**، **ومكتبة سمير منصور** التي دُمِّرت كذلك خلال عدوان عام 2021، **ومكتبة ومعرض الشروق الدائم**، **ومكتبة نعيم**، **ومكتبة النهضة.**[70]

لقد خسر الفلسطينيّون، جرّاء تدمير جامعاتهم وأرشيفهم، مخطوطات يعود تاريخها إلى قرون خَلَتْ، وموارد قيّمة لفَهْم تطوُّر غزّة وتاريخها على الصعيد الثقافيّ، كما لحقت أضرار فادحة بالتُّحَف والكنوز الأثريّة، من بينها مجموعة فخّاريّة من الحقبة البيزنطيّة ومقبرة رومانيّة عُثِر عليها حديثًا تحتوي على توابيت نادرة مصنوعة من مادّة الرصاص.[71] لقد استهدفت إسرائيل أماكن تاريخيّة قديمة تُعتبَر رموزًا ذات أهمّيّة تاريخيّة ودينيّة وثقافيّة على حدّ سواء. تتجاوز هذه المواقع الطابع المادّيّ؛ فهي تختزن الإيمان والتقاليد، وتحافظ على الإرث المعماريّ المحلّيّ، وتُجسّد التاريخ الطويل للتعايش بين الأديان في غزّة.[72]

65. أبو هاشم، عبد اللطيف زكي. (2024) التدمير المقصود لدور الوثائق والأرشيف والمؤسّسات الثقافيّة والمكتبات في مدينة غزّة. مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة.
66. المرجع السابق.
67. المرجع السابق.
68. العربيّ الجديد. (2024، 1 كانون الثاني). حمّامُ السمرة وسيباط العَلَمي.. ضحايا جدد في حرب الإبادة الثقافيّة. العربيّ الجديد.
69. الجزيرة نت. (2024، 24 شباط). وزير الثقافة الفلسطينيّ: إسرائيل سرقت 12 متحفًا ضمن حربها على غزّة. الجزيرة نت.
70. أبو هاشم، عبد اللطيف زكي. مرجع رقم 65.
71. الحلو، علاء. (2023، 23 أيلول). العثور على 4 قبور تعود لألفَيْ عام ضمن أوّل مقبرة رومانيّة كاملة في غزّة. العربيّ الجديد.
72. شاه، مريم. مرجع رقم 60.

مزّقت الحملة العسكريّة الإسرائيليّة، المستمرّة منذ السابع من أكتوبر 2023، النسيجَ الثقافيّ للحياة الفلسطينيّة في غزّة. فمن تدمير المراكز الثقافيّة والمكتبات، إلى مقتل ما لا يقلّ عن ثمانية وعشرين (28) فنّانًا وكاتبًا فلسطينيًّا (من بينهم شعراء وأكاديميّون مثل رفعت العرير والدكتور سفيان تايه، ومواهب شابّة مثل شام أبو عبيد وليلى عبد الفتّاح الأطرش)، ألحَقَ القصف المتواصل ندوبًا بالمجتمع الفنّيّ والأدبيّ في غزّة.[73]

وبحسب تقرير وزارة الثقافة الفلسطينيّة عن الأضرار التي لحقت بالقِطاع الثقافيّ في غزّة، "إنّ ما يجري من حرب على مكوّنات الثقافيّة الوطنيّة واستهداف التراث الفلسطينيّ هو استمرار لِما قامت به العصابات الصهيونيّة خلال النكبة من سرقة المقتنيات واللقى الأثريّة واستهداف البنْية التحتيّة الثقافيّة واستلابها".[74]

جهود استعادة الموروث الثقافيّ

على الرغم من كثرة التحدّيات وهول الخسائر البشريّة والمعنويّة نتيجة القصف المتواصل، لم يستسلم الإنسان الفلسطينيّ أمام هذا الواقع، بل هو يبذل جهودًا كبيرة لاستعادة ما يمكن استعادته نتيجة الدمار؛ فقد برزت عدّة مبادرات مجتمعيّة ورسميّة للحفاظ على الموروث الحضاريّ والثقافيّ في قِطاع غزّة، عبْر جمْع وإصلاح بعض المخطوطات والكتب التاريخيّة. وتبذل فرق الإنقاذ في دائرة المخطوطات والآثار، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة في قِطاع غزّة، جهودًا مضنية لانتشال ما تبقّى من الموروث الثقافيّ الفلسطينيّ. وقالت حنين العميص، مديرة الفريق، إنّ عدد المخطوطات في مكتبة المسجد العُمَريّ الكبير قبل الحرب بلغ مئتَيْن وثمانيًا وعشرين (228) مخطوطة، لكن القصف الإسرائيليّ العنيف أدّى إلى فقدان جزء كبير منها، ليتبقّى ثمانٍ وثلاثون (38) مخطوطة منها فقط، بالإضافة إلى ثمانٍ وسبعين (78) مجموعة من الأوراق المتفرّقة (الدشت). وأكّد "أحمد أبو شريعة"، الإداريّ والفنّيّ المتخصّص في ترميم المخطوطات، أنّ فريق الإنقاذ بدأ منذ تشرين الأوّل 2024 بمحاولات إخراج وإنقاذ هذا الإرث الثقافيّ من تحت الأنقاض، رغم المخاطر الجسيمة التي واجهها العاملون بسبب استمرار القصف الإسرائيليّ، كما أنّ جميع المخطوطات المتبقّية بحاجة ماسّة إلى ترميم عاجل ورَقْمَنة، بعدما تعرّضت للتلف بسبب القصف والرطوبة والعفونة.[75]

إضافة إلى ما سلف ذكره، أعلنت بلديّة غزّة عن طرح عطاء لإعادة ترميم المسجد العُمَريّ في غزّة، فقد أعلنت عن "مشروع إعادة بناء وترميم المسجد العُمَريّ الكبير في غزّة – المرحلة الثانية"، بالتعاون مع التحالف الدوليّ لحماية التراث ("أليف")، ووزارة السياحة الفلسطينيّة، والمشروع يبتغي تسريع إعادة ترميم المسجد، والحفاظ على ما تبقّى من حجارته، باعتباره مَعلمًا حضاريًّا وأثريًّا كبيرًا.[76]

إبادة التعليم في غزّة

كانت إبادة رأس المال البشريّ من أهمّ خصائص الحرب على قِطاع غزّة منذ عمليّة السابع من أكتوبر 2023. فمنذ اليوم الأوّل للحرب، أُستُهدِف قِطاع التعليم كقيمة اقتصاديّة وفكريّة وثقافيّة في حدّ ذاتها، قادرة على

73. المرجع السابق.

74. وزارة الثقافة. [د.ت]. أبو سيف: التراث الفلسطينيّ يتعرّض لعمليّة تدمير ممنهَجة من قِبل جيش الاحتلال في غزّة. وزارة الثقافة.

75. نبض. (2025، 4 آذار). بعد تدمير متعمَّد لمكتبة المسجد العُمَريّ.. مَساعٍ لإنقاذ مخطوطات تاريخيّة بقِطاع غزّة. نبض.

76. بلديّة غزّة [بلديّة غزّة - Municipality of Gaza]. (2025، 25 آذار). **مشروع إعادة بناء وترميم المسجد العُمَريّ الكبير في غزّة – المرحلة الثانية**. فيسبوك. بلديّة غزّة.

تعزيز صمود المواطن، والحفاظ على الهُويّة الوطنيّة الفلسطينيّة من التلاشي والذوبان. كان ذلك من خلال الاستهداف المتعمَّد والمباشر للمنشآت التعليمية بصورة ممنهَجة، وقتل العديد من الكوادر التعليمية والأكاديميّة، ممّا يجعل من هذه الحرب التي تشنّها إسرائيل على قِطاع غزّة حرب تجهيل.

لقد توقّفت العمليّة التعليميّة من اللحظة الأولى لانطلاقة المعارك العسكريّة على المستويات كافّة، في الجامعات والمدارس والمراكز التعليميّة والتدريبيّة ورياض الأطفال، بعد أن تحوّل عمل المدارس من أماكن تعليميّة إلى مراكز إيواء، ومع ذلك لم تَتَوانَ قوّات الاحتلال عن استهداف هذه المدارس والمنشآت وهي مكتظّة بالمهجَّرين والنازحين، لتُوقِع المئات من الشهداء والمصابين، وإن كانت المدرسة أو المنشأة تَتْبع لهيئة دوليّة كالأمم المتّحدة وترفع عَلَمها.[77]

- حرب على المدارس

بلغ عدد المدارس في قِطاع غزّة قبل الحرب (بداية العام الدراسيّ 2024/2023) سبعَمئةٍ وثلاثَ (703) مدارس تشغل خمسمئة وخمسين (550) مبنًى مدرسيًّا، عِلمًا أنّ بعض مدارس قِطاع غزّة تعمل لفترتين في اليوم الواحد أو أكثر، وذلك بسبب الاكتظاظ والنقص في الأبنية المدرسيّة، موزَّعة كالتالي: هنالك أربعمئة وثمانٍ وأربعون (448) مدرسة حكوميّة، ومئة وثمانٍ وثمانون (188) مدرسة تتبع لوكالة الغوث الدوليّة "الأونروا"، وسبع وستّون (67) مدرسة خاصّة. وبلغ عدد الطلبة في مدارس قِطاع غزّة في بداية العام الدراسيّ 2024/2023 ما يقارب ستّمئة وخمسًا وعشرين ألفَ (625,000) طالبٍ وطالبةٍ، موزَّعين حسب جهات الإشراف: في المدارس الحكوميّة ثلاثمئة وخمسة آلافِ (305,000) طالبٍ وطالبة، وثلاثمئة ألفِ (300,000) طالبٍ وطالبةٍ في مدارس وكالة الغوث، وواحد وعشرون ألفَ (21,000) طالبٍ وطالبةٍ في المدارس الخاصّة.[78]

وتدير وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيّين في قِطاع غزّة مئة وثمانية وثمانين (188) مبنًى تعليميًّا، تضرّرت معظمها على نحوٍ كامل أو على نحوٍ جزئيّ كما هو موضَّح في الجدول التالي:[79]

	مستوى التدمير	عدد المنشآت التعليمية
1	استهداف مباشر	76
2	أضرار جسيمة	42
3	أضرار متوسّطة	34
4	أضرار طفيفة	12
5	غير معروف	24
	المجموع	188

77. مركز الميزان لحقوق الإنسان. (2024، 20 تمّوز). **إبادة التعليم في قِطاع غزّة في سياق الإبادة الجماعيّة**. غزّة: مركز الميزان لحقوق الإنسان. ص. 2.

78. المرجع السابق، ص. 1.

79. المرجع السابق، ص. 4.

الشكل (13): إحدى مدارس وكالة الغوث المدمَّرة نتيجة القصف الإسرائيليّ.
(الجزيرة نت).

قامت قوّات الاحتلال بتدمير مئتين وخمس وثمانين (285) من المدارس الحكوميّة على نحوٍ كامل، وقتلت تسعة آلافٍ (9,000) طالبٍ وطالبةٍ، من المستوى المدرسيّ والجامعيّ، وأصابت أربعة عشر ألفًا (14,000)، من بينهم ما يقارب ثلاثة آلافٍ (3,000) طالبٍ وطالبةٍ أصبحوا من ذوي الإعاقة. وقتلت أربعمئةٍ (400) معلّمٍ ومعلّمةٍ في المدارس، ومئة (100) من أفراد كوادر الجامعات.[80]

في كلمة أمام اللجنة الاستشاريّة لوكالة الغوث "الأونروا" ألقاها المفوَّض العامّ للوكالة "فيليب لازاريني"، شدّد المتحدّث على صعوبة العمليّة التعليمية في غزّة نتيجة الحرب إذ قال: "يبدو التعليم النوعيّ الذي كانت تقدّمه الأونروا قبل أسابيع فقط حلمًا بعيد المنال. هناك ثلاثمئة ألفٍ (300,000) طالبٍ وما يقارب ألفَيْ (2,000) متدرّبٍ هم محرومون من تَلَقّي التعليم. في ما يخصّ الطلبة في غزّة، هذه هي السنة الثالثة من بين الأربع الأخيرة التي تعطّل فيها تعليمهم بشدّة. جائحة كوفيد كانت الأولى، تلتها جولات تصعيد قصيرة المدى، والآن هذه الأزمة التي تغيّر الحياة. حتّى لو انتهى النزاع غدًا، العديد من مدارسنا تضرّرت أو تؤوي الآلاف من النازحين".[81]

مع بدء العام الدراسيّ (2025/2024)، أكّدت وزارة التربية والتعليم الفلسطينيّة أنّ ما يربو على ستّمئة وثلاثين ألف (630,000) طالب وطالبة حُرِموا من التعليم في قِطاع غزّة منذ السابع من أكتوبر 2023، وأنّ الدراسة لا تزال معطَّلة جرّاء الحرب الإسرائيليّة المتواصلة على القِطاع. وأضافت الوزارة أنّ أكثر من عشرة آلاف (10,000) طالب استُشهِدوا وأصيب خمسة عشر ألفًا (15,000) بجراح جرّاء حرب الإبادة الإسرائيليّة.

80. المرجع السابق.

81. الأونروا. (2023، 21 تشرين الثاني). كلمة المفوّض العامّ للأونروا فيليب لازاريني أمام اللجنة الاستشاريّة. الأونروا.

كذلك حُرِم تسعة وثلاثون ألفَ (39,000) طالبٍ من التقدُّم إلى امتحان الثانويّة العامّة مع انتهاء العام الدراسيّ (2024/2023)، وحُرِم ثمانية وخمسون ألفَ (58,000) طفلٍ من فرحة الالتحاق بالصفّ الأوّل مع بداية العام الدراسي (2025/2024).[82] وأشارت الوزارة إلى أنّ 92% من المباني المدرسيّة والإداريّة قد خرجت عن الخدمة نتيجة الاعتداءات المستمرّة، وناشدت المؤسَّساتِ الدوليّةَ للتدخُّل العاجل لحماية الأطفال من إجرام الاحتلال، ولوقف حرمانهم من حقّهم في الأمن والتعليم.[83]

الشكل (14): صورة الدمار الذي تعرّضت له إحدى المدارس الحكوميّة في غزّة. (وفا).

مقاومة التجهيل

مع قرار إسرائيل منذ السابع من أكتوبر 2023 القضاء على ركائز التعليم في غزّة وهدم المدارس والجامعات، قرّر الشعب الفلسطينيّ في غزّة الاستمرار في التعليم، وبدأ المعلّمون يطوّرون مبادرات تعليميّة في مناطق النزوح تتّخذ الطابع الشعبيّ. ويمكن سماع الأطفال وهم يقرأون ويغنّون ويلعبون داخل "خيم التعلّم" المُقامة وسط المناطق المزدحمة، يَشْدون بالأغاني الشعبيّة والوطنيّة تارة، وتارة أخرى يتعلّمون الموسيقى والدبكة، ويسردون القصص الشعبيّة والروايات الفلسطينيّة، ويلوّنون العلم الفلسطينيّ، ويعبّرون عن معاناتهم وآلامهم بالرسم على جدران الخيمة التي تُؤويهم، فالجميع حاضر بمعاناته وذكرياته وتاريخه.[84]

82. الجزيرة نت. (2024، 9 أيلول). غزّة بلا تعليم للعام الدراسيّ الثاني على التوالي. الجزيرة نت.

83. لاجئين. (2024، 9 أيلول). بدء العام الدراسيّ في فلسطين والحرب تحرم 650 ألف طالب من التعليم في غزّة. لاجئين.

84. وهبة، نادر. (2024). مبادرات التعليم الشعبيّ في غزّة: تجارب المعلّمين وتحدّياتهم. مؤسَّسة الدراسات الفلسطينيّة.

على الرغم من قسوة الظروف الإنسانيّة وقلّة الإمكانيّات، برزت عدّة مبادرات شعبيّة ورسميّة لاستكمال العمليّة التعليميّة من جديد، فلم تمنع ظروفُ الحرب الصعبة في قِطاع غزّة انتشارَ مبادرات تعليميّة بجهود ذاتيّة، تتكوّن من خيام تضمّ عدّةَ صفوف وساحةً صغيرة مغطّاة بشوادر، يجلس فيها الطلبة على الأرض أو على مقاعد خشبيّة، ويهدف القائمون عليها إلى استمرار العمليّة التعليميّة، وإعادة الطلبة إلى الكتب بعد فِراق قَسْريّ بسبب الحرب، فضلًا عن أهداف أخرى تتمثّل في التفريغ النفسيّ عبْر اللَّعب.[85]

الشكل (15): فصل دراسيّ داخل خيمة في إحدى المدارس الميدانيّة في مواصي خان يونس. (الرسالة).

ضمن هذه المبادرات، أُنشِئت مدرسة داخل مخيّم للنازحين في خان يونس جنوب قِطاع غزّة تضمّ مئات الأطفال. وأسهمت هذه المبادرة في تحويل خيمة كبيرة داخل أحد مراكز الإيواء في منطقة "المواصي"، غربيّ خان يونس، إلى مدرسة تطوُّعيّة تهدف إلى تعليم الأطفال المنهجَ الفلسطينيَّ والترفيهَ عنهم في ظلّ ضغوط الحرب النفسيّة. وقد عبّر المعلّم "محمود أبو موسى" عن سعادته بإنشاء المدرسة داخل مخيّم النازحين، موضّحًا أنّ الفكرة جاءت من المعلّمين المتطوّعين ووَجدَت قبولًا لدى النازحين. يقول الأستاذ أبو موسى: "بعد انقطاع دام عامَيْن، أصبحت هناك فجوة تعليميّة كبيرة، خاصّة في الصفوف الأولى. لذلك نحاول إعادة تأسيس التعليم من البداية". ويضيف قائلًا: "لقد بدأت المدرسة بخيمة ولوح سبّورة واحد فقط، لكن مع تزايد الطلب على الانضمام، وصل عدد الطلّاب إلى 650 طالبًا وطالبة، مع تحدّيات كبيرة في توفير المساحة والموارد اللازمة للطلّاب".[86]

85. اليعقوبي، يحيى، (2024، 16 أيلول). مبادرات تعليمية في غزّة... فصول الخيام تقاوم الحرب. العربيّ الجديد.
86. وفا. (2024، 16 أيلول). "مدرسة في خيمة".. مبادرة لتعليم الطلّاب جنوب غزّة. وفا.

الشكل (16): إحدى المبادرات التعليميّة في غزّة التي عملت على مواجهة سياسة التهجيل.
(سكاي نيوز عربية).

وشكّلت هذه المبادرة التعليميّة، أو الفضاءات التعلُّميّة، أو الملتقيات التعليميّة، نقطةَ دخولٍ آمنةً في حالة الطوارئ في ظلّ تعطُّل العمليّة التعليميّة في غزّة، سعيًا إلى التوصّل إلى نتيجة التعليم تحت خيارات الإمكانيّات المتاحة.[87]

على الصعيد الرسميّ، صدرت سلسلة من الإجراءات عن وزارة التربية والتعليم العالي في رام الله، من أجل ضرورة استكمال العمليّة التعليميّة في قِطاع غزّة، كأحد أشكال النضال، منها العمل على استدراك العام الدراسيّ السابق وإنقاذ العام الدراسيّ الحاليّ، والبدء بالمدارس الافتراضيّة رغم صعوبة هذا الخيار، واستحداث وحدة خاصّة بمتابعة التعليم في قِطاع غزّة، وتدشين مدارس افتراضيّة يعمل فيها معلّمون من الضفّة الغربيّة، وبالتالي كان هناك التحاق من الطلبة، حيث تعمل المدارس يوميًّا قرابة ثلاث ساعات.[88]

فضلًا عمّا سبق ذكره، أعلنت وزارة التربية والتعليم العالي أنّ الدورة الثالثة من امتحان الثانويّة العامّة لطلبة قِطاع غزّة ممّن هم خارج القِطاع ستنطلق في 26 كانون الثاني 2025. وأوضحت الوزارة أنّها استكملت الاستعدادات لعَقْد الامتحان الذي سيتقدّم إليه خمسمئة وستّون (560) مشترِكًا ومشترِكة، من بينهم أربعمئة وستّون (460) في مصر حيث سيُعْقَد الامتحان في سفارة فلسطين في القاهرة، والباقون سيتقدّمون في ستّ وعشرين (26) سفارة فلسطينيّة حول العالَم.[89] كذلك وقّعت وزارة التربية والتعليم العالي مع "بنك الأردن" اتّفاقيّة ترمي إلى توفير أجهزة لوحيّة؛ وذلك لضمان التحضير لإجراء امتحان الثانويّة العامّة لطلبة قِطاع غزّة.[90]

87. شبير، محمّد. (2025، 21 كانون الثاني). التعليم عبر المبادرات في غزّة نهجٌ مبتكرٌ في سياقات الطوارئ. شبكة تمكين التعليم.
88. دولة فلسطين. (2024، 6 تشرين الثاني). "التربية": نعمل على استدراك العام الدراسيّ السابق وإنقاذ العام الدراسيّ الحاليّ لطلبة قِطاع غزّة. دولة فلسطين.
89. وزارة التربية والتعليم العالي. (2025، 25 كانون الثاني). الدورة الثالثة من امتحان الثانويّة لطلبة غزّة في الخارج تنطلق غدًا. وزارة التربية والتعليم العالي.
90. وزارة التربية والتعليم العالي. (2025، 16 آذار). إبرام اتّفاقيّة مع بنك الأردن لتوفير أجهزة لوحيّة لطلبة غزّة. وزارة التربية والتعليم العالي.

استهداف التعليم العالي، الجامعات والكلّيّات

خلال حرب الإبادة الجماعيّة، لم يكن حال التعليم الجامعيّ في قِطاع غزّة أفضل من حال التعليم الأساسيّ؛ فقد قضت آلة الحرب الإسرائيليّة على معظم منشآت ومباني الجامعات الفلسطينيّة، إذ دُمّرت مباني أربعِ جامعاتٍ جديدةٌ، وقعت في "محور نتساريم"، كما أنّ آلة الحرب العسكريّة دمّرت، على نحوٍ جزئيّ أو كلّيّ، المقرّات الرئيسيّة للجامعات الفلسطينيّة في غرب مدينة غزّة. في المحصّلة، حتّى لحظة كتابة هذه المقالة، جرى تدمير وإلحاق أضرار بما يقدَّر بنحو 80 % من مجْمَل الجامعات والكلّيّات في القِطاع، وتشير المعلومات إلى تعرُّض ستّ جامعات في قِطاع غزّة (**الجامعة الإسلاميّة؛ جامعة الإسراء؛ جامعة الرباط؛ جامعة الأزهر؛ جامعة الأقصى؛ جامعة الأمّة؛ جامعة القدس المفتوحة**) للتدمير الكامل أو الجزئيّ جرّاء الهجمات العسكريّة الإسرائيليّة.[91] وكانت الهجمات على التعليم العالي منهجيّة ومتعمَّدة، تهدف إلى تدمير القِطاع ومحوه بالكامل.[92]

جامعة الأزهر في غزّة- دُمِّر الحرم الجامعيّ الرئيسيّ للجامعة وفرعها في "المغراقة" (جنوب القِطاع) بفعل القصف المتكرّر في الأشهر الأولى من العدوان. وبحسب الأستاذ الجامعيّ محمّد الوزير "كانت الجامعة قبل أكتوبر الماضي تتألّف من 12 كلّيّة، تمنح درجات البكالوريوس في 77 مجالًا، ودرجة الماجستير في 33 تخصُّصًا، والدكتوراة في 4 تخصُّصات". وأضاف أنّ "الاحتلال دمَّرَ "جامعة الأزهر" في حروب سابقة على غزّة، وكانت الجامعة بعدها تلجأ إلى المؤسَّسات العربيّة والإسلاميّة والدوليّة للمساعَدة في إصلاح الأضرار، ولكن بعد هذا العدوان، يتعيَّن بناء الجامعة من الألف إلى الياء"، وكان هذا أحد الأدلّة التي قدّمتها "جنوب أفريقيا" إلى "محكمة العدل الدوليّة" برهانًا على التدمير المنهجيّ والمتعمَّد للبنْية التحتيّة التعليميّة للكيان في غزّة.[93]

الشكل (17): مبنى كلّيّة الملك الحسن الثاني للعلوم البيئيّة والزراعيّة في جامعة الأزهر قبل التدمير. (مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

91. الأورومتوسّطيّ لحقوق الإنسان. (2024، 12 آذار). إبادة التعليم في غزّة: مائة أكاديميّ أوروبيّ يوقّعون على عريضة للأورومتوسّطيّ تُدين تدمير إسرائيل المنهجيّ للنظام التعليميّ. الأورومتوسّطيّ لحقوق الإنسان.

92. Barakat, Sultan; Heleta, Savo; & Cochrane, Logan. (2025). Analysis of two decades of aid flows to higher education in Palestine: implications for rebuilding destroyed higher education in Gaza. Higher Education.

93. مرصد الأزهر لمكافحة التطرّف. (2024، 26 آب). الاحتلال الصهيونيّ وتعمُّد استهداف المؤسَّسات التعليميّة والعلماء. مرصد الأزهر لمكافحة التطرُّف.

ورصدت بعض وسائل الإعلام مخلّفات عسكريّة فارغة تركها جيش الاحتلال في كلّيّة الملك الحسن الثاني للعلوم البيئيّة والزراعيّة بجامعة الأزهر الفلسطينيّة في منطقة المغراقة وسط قِطاع غزّة، إذ ظهرت بوضوح آثار القصف والتدمير داخل المبنى،[94] ووثّقت وسائل الإعلام عبارات عنصريّة مكتوبة باللغة العبريّة ضدّ الفلسطينيّين، خَطَّها الجنود على جدران الكلّيّة، حملت خطاب كراهيَة وتحريضًا واضحًا. ومن بين العبارات التي كتبها الجنود: "أنا هنا كي أدمّر"، إضافة إلى رسم نجمة داود السداسيّة.[95]

الشكل (18): حالة مبنى كلّيّة الملك الحسن الثاني للعلوم البيئيّة والزراعيّة في جامعة الأزهر بعد التدمير الإسرائيليّ. (BBC NEWS عربي).

في الأسبوع الأوّل من العدوان الإسرائيليّ، شنّت الطائرات العسكريّة الإسرائيليّة عدّة غارات على **الجامعة الإسلاميّة** في مدينة غزّة، ودمّرت العديد من مباني الجامعة. وبعد نحو شهر، اجتاحت القوّات البرّيّة الإسرائيليّة، تُرافقها دبّابات وجرّافات غربيّ مدينة غزّة، وتسبّبت في مزيد من الأضرار الجسيمة في البنْية التحتيّة والعديد من المباني في المنطقة، بما في ذلك وزارة التربية والتعليم وأربع جامعات فلسطينيّة أخرى.[96]

بعد مرور عام ونصف العام من بداية الحرب تقريبًا، سُجّل استشهاد أكثر من أربعمئةِ (400) أستاذٍ جامعيّ، عشرون (20) مِن بينهم يحملون درجة البروفيسور، وتسعة وخمسون (59) يحملون درجة الدكتوراة.[97] ووَفقًا لتقديرات بعض الخبراء، العمليّة التعليميّة في قِطاع غزّة لن تعود كما كانت، ويحتاج الأمر إلى جهود كبيرة، بسبب حجم الدمار والتخريب الذي لحق بالمؤسّسات التربويّة التي تعمَّدَ الاحتلال تخريبها وتدميرها. وقد وصف عدد من خبراء مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتّحدة عدوان الاحتلال بأنّه "يمثّل نمطًا ممنهَجًا من العنف يهدف إلى تفكيك أسس المجتمع الفلسطينيّ".[98]

في أعقاب العدوان الإسرائيليّ المستمرّ، لن تقتصر الخسارة على فقدان السنة الدراسيّة الحاليّة فحسب، بل إنّ التدمير الممنهَج للمنشآت التعليميّة والبنْية التحتيّة والمنازل جعل من الصعب وضع تصوُّر وخطّة لإلحاق

94. TRT عربيّ. (2025، 13 شباط). تدمير وعبارات عنصريّة وذخائر فارغة.. مخلّفات إسرائيل بمبنى جامعيّ بغزّة. TRT عربيّ.
95. المرجع السابق.
96. النبيه، حسن. (2024، 23 آب). التعليم الجامعيّ في غزّة.. رغم ويلات الحرب يبقى الأمل. الجزيرة نت.
97. المصري، حكمت. (2024، 4 أيلول). الإبادة التعليميّة.. عدوان إسرائيليّ "ممنهَج" يستهدف مستقبل أطفال غزّة. عُمان.
98. الأمم المتّحدة. (2024، 18 نيسان). خبراء أمميّون يحذّرون من "إبادة تعليميّة" في غزّة. الأمم المتّحدة.

الطلّاب بمقاعدهم الدراسيّة في ما بعد الحرب. كما أنّ تحويل مدارس الأونروا إلى مراكز إيواء سيعمل على تأخير عمليّة استئناف الدراسة بعد انتهاء العدوان، وسيزيد الضغط على البنْية التحتيّة التعليميّة المتضرّرة بالفعل، كما سيتطلّب بذلَ جهود كبيرة لإعادة تأهيل المباني وتجهيزها لاستقبال الطلّاب مجدَّدًا.[99] وقد أكّد الخبراء المستقلّون التابعون للأمم المتّحدة أنّه مع تضرُّر أو تدمير أكثر من 80% من المدارس والجامعات في غزّة، "قد يكون من المعقول التساؤل عمّا إذا كان هناك جهد متعمَّد لتدمير نظام التعليم الفلسطينيّ بشكل شامل، وهو عمل يُعْرَف باسْم الإبادة التعليميّة".[100] وأوضح الخبراء أنّ "الهجمات القاسية المستمرّة على البنْية التحتيّة التعليميّة في غزّة لها تأثير مدمّر طويل الأمد على حقوق السكّان الأساسيّة في التعلُّم والتعبير عن أنفسهم بحرّيّة، ما يَحْرم جيلًا آخَر من الفلسطينيّين من مستقبلهم".[101]

الشكل (19): أحد مباني الجامعة الإسلاميّة المدمّر بالكامل.
(الأناضول).

- جهود استعادة التعليم الجامعيّ في قِطاع غزّة

خلّف تدمير الجهاز التعليميّ والبنْية التعليميّة على نحوٍ منهجيّ ومتعمَّد خلال الحرب تداعيات كبيرة على الطلبة الفلسطينيّين؛ فقد توقّف التعليم الوجاهيّ تمامًا، واستُبدِل في أحسن الأحوال بالتعليم عن بعد، إذ عملت معظم الجامعات الفلسطينيّة للعودة إلى التعليم عن بعد، مستفيدة من تجربتها إبّان فترة جائحة كورونا.

أطلقت جامعة بير زيت مبادرة "إعادة الأمل" لاستئناف التعليم العالي لطلبة من جامعات قِطاع غزّة، لتمكينهم من النهوض ومواصلة العمليّة الأكاديميّة واسترجاع دَوْرهم المجتمعيّ، من خلال التشاور

99. مركز الميزان لحقوق الإنسان. مرجع رقم 77.

100. الأمم المتّحدة. مرجع رقم 94؛ الكيلاني، ثروت زيد. (2024، 7 أيلول)، حماية الحقّ في التعليم في ظلّ الإبادة التعليميّة. جريدة القدس.

101. القدس العربيّ. (2024، 19 نيسان). خبراء أمميّون يحذّرون من "إبادة تعليميّة متعمَّدة" في غزّة. القدس العربيّ.

والشراكة مع الجامعات الفلسطينيّة في غزّة، بما يتوافق مع احتياجاتهم ورؤيتهم، وبما لا يشكّل بديلًا أو تجاوزًا لهم. وتشتمل المبادرة على ثلاثة مَحاور للتدخُّل،[102] بالإضافة إلى الإشراف على مشاريع ورسائل وأطروحات التخرّج بالتعاون والشراكة مع جامعات قِطاع غزّة. وسيقوم الكادر الأكاديميّ في جامعة بير زيت بالتطوّع من أجل تعليم الطلبة، والقيام بالإشراف البحثيّ لإنجاز الساعات المطلوبة للتخرّج. تقوم المبادرة على الأفكار التالية:[103]

- البنْية التحتيّة

تأتي هذه المبادرة بغيةَ تطوير البنْية التحتيّة المؤسّساتيّة والرقْميّة في الجامعة والقِطاع، اللازمة للشروع في التعليم عن بُعد، وتجهيز غرف صفّيّة ذكيّة، ومساندة الطلبة والباحثين للوصول إلى قواعد البيانات، ومَصادر المعرفة الضروريّة لاستكمال مسيرتهم الأكاديميّة. وسيُشْرف الكادر الفنّيّ والإداريّ في جامعة بير زيت بشكل تطوُّعيّ على هذا التدخّل، لتوفير الدعم اللازم.

- البحث التحويليّ

يأتي هذا الأمر ابتغاءَ تطوير أبحاثٍ ودراسات تُساند عمليّة إعادة الإعمار، وتسهم في إزالة آثار الحرب الهمجيّة، ودراسة الأثر الاجتماعيّ والنفسيّ والاقتصاديّ نتيجة الحرب، من خلال شراكات بين باحثي الجامعات في قِطاع غزّة من جهة، وباحثي جامعة بير زيت والجامعات العربيّة والعالميّة من جهة أخرى.

ولحماية التعليم العالي في قِطاع غزّة، قدّمت وزارة التربية والتعليم والعديد من المؤسَّسات الأكاديميّة الفلسطينيّة عرائضَ ضدّ تدمير إسرائيل لجامعات غزّة. وقد وَجّهت هذه العرائض نداءات للمنظّمات والمؤسَّسات الأكاديميّة الدوليّة للتدخّل بسرعة واتّخاذ تدابير فعّالة لضمان حقّ الطلّاب الفلسطينيّين في تلقّي التعليم. وركّز كثير من الصحفيّين وناشطي حقوق الإنسان على جرائم إسرائيل ضدّ المدنيّين الفلسطينيّين الأبرياء في قِطاع غزّة، بما في ذلك الأضرار الفادحة التي لحقت بالجامعات الفلسطينيّة.[104] بالإضافة إلى هذا، وقّع وزير التربية والتعليم العالي أمجد برهم، والأمين العامّ لاتّحاد الجامعة العربيّة عمرو عزّت سلامة، مذكّرةَ تفاهُم لبناء صندوق عالميّ، لدعم قِطاع التعليم العالي في غزّة.[105] تهدف المذكرة إلى إنشاء وتطوير البنية التَّحتية لتوفير بيئةٍ تعليميَّة أفضل، وتطوير الكوادر الأكاديميَّة والإداريَّة، وتوفير منح دراسيَّة للطلبة تُغطي الرسوم الدِّراسية أو جُزءً منها، ودعم مشروعات بحثيَّة تُعزِّز الابتكار والتَّعاون ما بين الباحثين، وتوفير الأجهزة والمعدّات والبَرمجيّات التي تُركِّزُ وتدعمُ التَّعلُّمَ في ظِلِّ الأزمات، ودعم المشروعات التَّطويريَّة ومشروعات البيئة المُستَدامة.[106]

في ظلّ حالة الإبادة الجماعيّة في غزّة وما رافقها من إبادة للمعرفة والتعليم بشكل عامّ، تُعَدّ حماية التعليم أولى الأولويّات التي يجب العمل عليها، باعتباره أمنًا قوميًّا ومجتمعيًّا. إنّ العودة إلى التعليم تتطلّب تدخُّلات تعتمد فلسفةَ التعليم المبنيّة على التحسين الدائم وتطوير الأداء، ومن أبرزها تدخُّلات توفير أماكن لاستئناف

102. جامعة بير زيت. [د.ت]. إعادة الأمل، مبادرة جامعة بير زيت لدعم وتعزيز التعليم العالي في غزّة. جامعة بير زيت.

103. المرجع السابق.

104. النبيه، حسن. مرجع رقم 96.

105. وزارة التربية والتعليم العالي. (2025، 27 شباط). التربية والتعليم العالي واتّحاد الجامعات العربيّة يوقّعان مذكّرة لدعم جامعات وكلّيّات غزّة. وزارة التربية والتعليم العالي.

106. وفا. (2025، 27 شباط). "التربية والتعليم العالي" واتحاد الجامعات العربية يوقعان مذكرة لدعم جامعات وكليات غزة. وفا.

التعليم، من خلال توفير أماكن مؤقّتة لاستئناف الدراسة (نحو: المؤسَّسات العامّة؛ المؤسَّسات الخاصّة؛ المساكن التي ما زالت صالحة للاستخدام البشريّ)، والتركيز على الموادّ الأساسيّة، وتعزيز مهارات القراءة والرياضيّات في المرحلة الأساسيّة الأولى، والمزيد من التركيز على اللغات، والرياضيّات، والعلوم في الصفوف الأخرى.

خاتمة

منذ بدأت الحرب الإسرائيليّة على قِطاع غزّة، بعد السابع من أكتوبر 2023، عصفت الآلة الحربيّة بالبناء الحضاريّ والثقافيّ والتعليميّ للمجتمع الفلسطينيّ في غزّة، وهدّدت نسيجه الاجتماعيّ وبناءَه الفكريّ والحضاريّ؛ فقد عمدت قوّات الاحتلال إلى إحداث تدمير منهجيّ للبنْية التحتيّة والمعالم الحضاريّة والثقافيّة والتعليميّة في القِطاع على نحوٍ يجعله مكانًا غير صالح للعيش فيه.

أَفْضَت الحرب إلى تدمير أكثر من 80% من البناء العمرانيّ الحضريّ، والقضاء على أبرز المعالم التاريخيّة والتراثيّة والثقافيّة والأكاديميّة في غزّة. لقد سعت إسرائيل من خلال هذه الحرب إلى إعادة غزّة إلى عصور ما قبل التاريخ، عبْر عمليّة مُمَنْهَجة لمحو ذاكرة هذا الجزء المهمّ من الكينونة الفلسطينيّة، وتشريد سكّانه داخليًّا وخارجيًّا، وتركهم بلا مأوى، وبلا مسكن، وبلا أفق لمسيرة تعليميّة في المنظور القريب.

لكن رغم كلّ هذه المأساة والمعاناة الناتجة عن تداعيات الحرب، برزت عدّة مبادرات مجتمعيّة ومؤسَّساتيّة لاستكمال المسيرة التعليميّة من خلال المدارس الميدانيّة والتعليم الإلكترونيّ (عن بعد). فقد حاولت هذه الجهود الشعبيّة والرسميّة سدّ الفجوة في العمليّة التعليميّة، وذلك من خلال عدّة برامج وتدخُّلات ابتغت حماية مسيرة الطلّاب من تداعيات الحرب والإصرار على حماية المسيرة التعليميّة باعتبارها قيمة في حدّ ذاتها. علاوة على هذا، ظهرت العديد من المبادرات الساعية إلى ترميم المخطوطات التاريخيّة والمواقع الأثريّة، بغيةَ الحفاظ على الموروث الحضاريّ والثقافيّ والمعرفيّ للشعب الفلسطينيّ من الضياع نتيجة القصف.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية